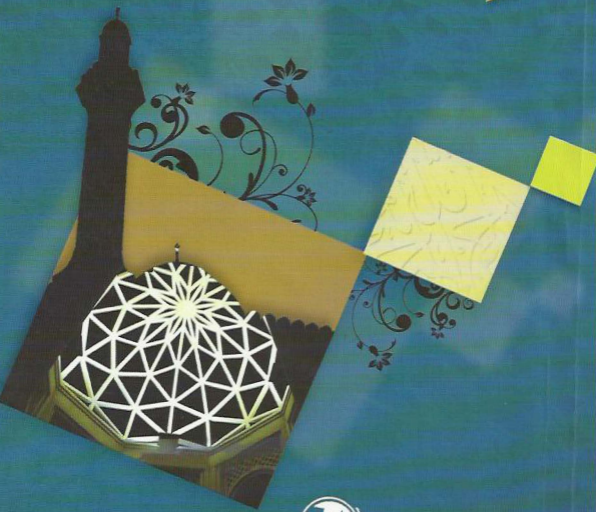


الإسلام والعقائد  
THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURANIC THOUGHT

السيد محمد حسن ترمذی علی العابدی

# الإسلام والعقائد



دار  
الكاتب  
العربي



This file was downloaded from [www.thought.com](http://www.thought.com)

# الْإِسْلَامُ وَالْعَقْلُ

تأليف

الدكتور محمد حسن ترحيمي العاملي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين،  
وصلى الله على محمد وآله الطيبين



# الفصل الأول

## الخطاب القرآني للعقل

- ١ القرآن معجزة عقلية
- ٢ العقل ودوره
- ٣ خطاب القرآن للعقل
- ٤ المعجز القرآني على وفق السنن
- ٥ فهم السنن الكونية هو عالم المعاجز
- ٦ لوازم الخطاب القرآني للعقل.



# ١

## القرآن معجزة عقلية

عندما بعث الله أنبياءه رُسلًا حاملين هداية الله من عقيدة وشريعة أيدهم بمعجزات لم تعهد لها العقول، ليثبتوا للناس أنهم مبعوثون من قبل الله تعالى.

المعجزة أمرٌ فوق مقدور البشر، ولذا سُمّيت بالمعجز، لأنه يعجز البشر عن الإتيان بمثله، وسُمّيت بالأمر الخارق للعادة، لأنها مخالفةٌ للسنن الخاصة بالمادة، ومخالفةٌ للقوانين الطبيعية.

### المعاجز التي تكلم عنها القرآن على أنواع:

منها: إخبارات غيبية، كإنباء عيسى ﷺ قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

ومنها: ما هو مخالفٌ للسنن والقوانين الطبيعية، كالنار التي أراد الكافرون إحراق إبراهيم ﷺ بها فكانت عليه برداً وسلاماً.

ومنها: ما هو ناتج من غير الأسباب الطبيعية والقوانين الكونية، كانهجار الماء من الحجر حينما ضربه موسى ﷺ بعصاه عندما استسقاها قومه، وتظليل الغمام على بني إسرائيل في التيه،

وانشقاق البحر وانحسار الماء لموسى ﷺ ولقومه حتى مشوا فيه هرباً من فرعون، وناقية صالح ﷺ وفصيلها.

وغالب المعاجز أتت ابتداءً موافقةً لما هو الشائع بين الناس، ليكون ذلك أبلغ في تأييد الرسول وأقوى في الإلزام، كمعجزة موسى ﷺ بانقلاب العصا إلى ثعبان عظيم وقد بلغ عصي السحرة وحبالهم، لما برع فيه المصريون وقتذاك من السحر، ومعجزة عيسى ﷺ بإحياء الموتى، لما كان عليه اليهود من إنكار الروح ولشيوخ الطب بينهم.

وقد تأتي المعاجزُ بناءً على اقتراح القوم، كناقية صالح ﷺ وفصيلها، والمائدة السماوية التي طلبها الحواريون من عيسى ﷺ.

فالمعاجز بجميع أقسامها قبل معجزة النبي الأعظم ﷺ قد كانت على هذا النحو، لأن العقول البشرية لم تكن من النضج حتى تستطيع أن تقتنع بالحجة وتؤمن بالبرهان، فالمناسب لها معاجزٌ تُبهر العقول وتأخذ عليه مسالكه، فيُذعن ويقتنع بصدق نبوة أصحابها، فكانت المعجزة تَمَعُّ العقل ولا تُقنعه. وعندما بلغت العقولُ بدايةً النضج أتت المعجزة العقلية الخالدة على يد رسول الله محمد ﷺ، وهي القرآن فالقرآن لم يَمَعِّ العقل بل خاطبه ليَقنعه، حتى يؤمِّن اختياراً، ويصدِّق صاحبه بفهم شيء من معجزته، وعندما أتى القرآن الذي يُقنع العقول فكان معجزةً عقليةً وكان البقاء من طبيعته.

ولذا عندما <sup>طلبوا</sup> من النبي الأعظم ﷺ شيئاً من سنخ المعاجز السابقة كان ردُّ الله تعالى عليهم أن ينظروا في القرآن وما فيه هُدى، فهو دلائل عقلية على أنه وحي إلهي، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ - أي: معجزات -  
﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا  
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ - أي: القرآن - ﴿يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ فِي ذَلِكَ  
لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.



## ٢

### العقل ودوره

العقل بحسب عمله منقسم إلى أربعة أقسام.

العقل المدرك، والعقل الحكيم، والعقل الرشيد، والعقل الزادع والباعث.

العقل المُدرك هو الذي يُدرك الأمور وأسبابها وعواقبها، سواء كانت هذه الأمور مما لها علاقة بالأوامر والنواهي أم غيرها.

ويدرك أيضاً الحقائق وجوديةً أو ماهويةً، دينيةً أو دنيويةً.

والعقل الحكيم هو الذي يتأمل فيما يُدركه ويُقلبه على وجوهه فيستخرج منه البواطن والأسرار، ويبني عليها أحكاماً تتعلّل سيره السلوكي والوجودي، ومنه تنتج الحكمة.

والعقل الرشيد هو الذي يدرك الوظائف الإنسانية تجاه جميع الموجودات.

وظيفة الرشد فوق وظيفتي الإدراك والحكمة، لأنها اشتيفاء لهاتين الوظيفتين مع مزيدٍ من النضج، للتمييز بين الهداية والغواية. في السير الإنساني العام فرداً ومجتمعاً، دنياً ودينياً.



وإذا عمل الإنسان عقله، سواء كان مدركاً أم حكيماً أم رشيداً،  
واستخلص <sup>زيدة</sup>الرأي بحيث يصعب على الإختيار مخالفتها،  
لوضوحها إلى حد تستولي على النفس إلى درجة اليقين، فيعقل  
الإنسان نفسه عن المحذور والمنكر، أو يعقلها ببعثها نحو الحُسن  
الملزم.

وعليه فلا يكون الإنسان رادعاً وباعثاً لنفسه إلا إذا كان صاحب  
عقل مدرك أو حكيم أو رشيد مع إعمال الإرادة بحسن الإختيار.

ومن هنا كان اشتقاق العقل من مادة (عقل) التي يؤخذ منها  
العقال، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات  
الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها الغالب من بني البشر، وهو الذي  
يعصم النفس.



١٤

## خطاب القرآن للعقل

في كتب الأديان السابقة والواصلة إلينا إشارات صريحة أو خفية إلى العقل أو إلى التمييز، وهي إشارات تأتي عَرَضاً غير مقصودة.

وفي القرآن الكريم آياتٌ تقصد العقل، وهي صريحة اللفظ، جازمة الدلالة على ذكره، فقد ذُكر في مقام التعظيم، وفي وجوب الرجوع إليه، وفي وجوب العمل به، فنوّه القرآن بالعقل وجعل التعويل عليه في أمر العقيدة، وفي أمر التكليف فهماً وتحملاً.

وفي القرآن الكريم آياتٌ صريحة على لوم من يُهمل عقله، ويقبل بالحجر عليه.

وفي القرآن الكريم آياتٌ تشمل وظائف العقل على اختلاف أعمالها وخصائصها من الإدراك والحكمة والرشد والردع والبعث،<sup>11</sup> وهذه مزايا واضحة من مزايا القرآن الكثيرة.

فمن خطاب القرآن للعقل المدرك قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِثَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ حَيَّةٍ وَصَارِفِ الْبَرِّحِ وَالسَّحَابِ  
السَّحْرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَعْلَمُونَ الْقَوْمَ يَقُولُونَ ﴿<sup>(١)</sup>﴾

ومن خطاب القرآن للعقل الحكيم قوله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا  
كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

ومن خطاب القرآن للعقل الرشيد قوله تعالى:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ <sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى:  
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ﴾ <sup>(٤)</sup>، وقوله  
تعالى: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشْدًا﴾ <sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى حكاية عن  
فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ  
الرَّشَادِ﴾ <sup>(٦)</sup>، وبعد غرق قومه قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْثَرُ  
فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ <sup>(٧)</sup>، وقال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ  
الَّذِي ءَامَنَ يَنْفُورُ أَتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ <sup>(٨)</sup>.

ومن خطاب القرآن للعقل الرشيد في مجال التصرف العالي قوله

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٥١.

(٥) سورة الجن، الآية: ١٤.

(٦) سورة غافر، الآية: ٢٩.

(٧) سورة هود، الآية: ٩٧.

(٨) سورة غافر، الآية: ٣٨.

تعالى: ﴿...فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وفي مجال العلاقة الغريزية لبناء الأسرة والمجتمع قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لقومه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن خطاب القرآن للعقل الرادع والباعث الذي تفتح منه عصمة النفس بإعمال حُسن الإختيار قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿...أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَكُنَّ أَفْلَاكًا تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٥)</sup>.

هذا وحث القرآن على التدرج إلى مرتبة أعلى من الرتبة العقلية التي هو فيها حتى يصل إلى الرشد في جميع المجالات، ولذا طلب موسى عليه السلام الرشد من عبده من عباد الله الصالحين كما في قصتهما في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلِمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾<sup>(٦)</sup>.

وعليه فالعقل المدرك قد يُؤتى من نقصٍ في فهم الأمور والحقائق، والعقل الحكيم قد يُؤتى من نقصٍ في الإدراك أو في

(١) سورة النساء، الآية: ٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٧٨.

(٣) سورة الملوك، الآية: ١٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٥) سورة الرمز، الآية: ١٨.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

استخلاص النتائج والعواقب، ولكن العقل الرشيد ينجو به الرشاد، لأنه لا يكون رشيداً إلا إذا وافق التكوين من الفطرة ومقتضياتها، ووافق سنن الصواب والكمال.

والذي يُوصل العقل إلى تمام رشده في كل المجالات هو القرآن، قال تعالى حكايةً عن نفرٍ من الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

نعم العقل <sup>الراعي</sup> الراهِ والباعث الذي يعصم النفس لا يؤتى من قبل العقل، وإنما يؤتى من قبل إعمال الإرادة بالإختيار السيء، وسوء الإختيار إما بسبب غلبة الغرائز بخروجها إلى حُدَي الإفراط والتفريط، أو بسبب غلبة الأمانى الوهمية التي تحركها المطاعم غير المشروعة.



---

(١) سورة الجن، الآيتان: ١ - ٢.

## المعجز القرآني على وفق السنن

المعجز قبل الإسلام كان على غير العادة والسنن الطبيعية والكونية فأتى الإسلام بالمعجز على وفق العادة والسنن.

فالقرآن هو المعجز الإسلامي، وهو مؤلف من سور، والسور من آيات، والآيات من كلمات، والكلمات من حروف، والحروف مقدورة للبشر، بل من الحروف نشأت اللغات التي يتكلم بها البشر على مرّ العصور.

ولذا كانت الحروف المقطعة في أوائل السور إيغالا في التحدي، قال تعالى: ﴿قُلْ لِيِنِ اٰبَعَمَمَتِ الْاِنْسِ وَالْجِنُّ عَلٰى اَنۡ يَّاتُوْا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْاٰنِ لَا يَأْتُوْنَ بِمِثْلِهٖ وَلَوْ كَانۡ بِبَعْضِنۡهٖمۡ لِيَعِيۡنَ ظٰهِيۡرًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿اَمۡ يَقُوۡلُوۡنَ اَنۡفَرَنۡهٗ قُلۡ فَاَتُوۡا بِعَشْرِ سُوۡرٍ مِّثْلِهٖ مُفَرَّقٰتٍ وَّادْعُوۡا مَنۡ اَسْتَلَعۡتُمۡ مِنۡ دُوۡنِ اٰلِهٖۤ اِنۡ كُنۡتُمۡ صٰدِقِيۡنَ ﴿١٣﴾ فَاَلۡمَ بَسۡتَجِيۡبُوۡا لَكُمۡ فَاَعۡلَمُوۡا اَنۡمَ اُنۡزِلَ يَعۡلَمُ اَللّٰهُ وَاَنۡ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَهَلۡ اُنۡتُمۡ مُّسۡلِمُوۡنَ ﴿١٤﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلِيۡنۡ كُنۡتُمۡ فِيۡ رَيْۡبٍ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلٰى عِبۡدِنَا فَاَتُوۡا بِسُوۡرٍ مِّنۡ مِّثْلِهٖ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٢) سورة هود، الآيتان: ١٣ - ١٤.

وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا  
فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ (١)

وفي الخبر السجادي: (كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا:  
هذا سحرٌ مبين تقوله، فقال الله: ألم ذلك الكتاب، أي: يا محمد،  
هذا الكتاب الذي أنزلته إليك هو الحروف المقطعة، التي منها ألف  
ولام وميم، وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم  
صادقين) (٢)



(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

(٢) البحار ج ٨٩ ص ٣٧٧، حديث: ١٠.

## فهم السنن الكونية هو عالم المعاجز

القرآن عندما خاطب العقل فيكون داعياً إلى التفكير، والآيات التي دعت إلى التفكير كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِنَّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَرِّئَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَلِيلٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.



وعندما دعا القرآن إلى التفكير في سنن التكوين فقد دعا إلى فهمها، وفهم السنن هو المعجز الذي دعا إليه القرآن.

وفهم عالم التكوين يقود إلى الهدى الإيماني، لأن عالم التكوين على كثرة أجزائه هو كون واحد، فريد في نظمه، متكامل في أجزائه وجزئياته، والعلم به موصل إلى الإيمان بالوحدانية خالق عالم قادر غني حكيم، خلق فسوى ودير فأعطى، وسير الجميع بانتظام واتساق.

وعليه فمن مرت به آية من آيات الأرض والسماء وما خلق الله ولم يعرف منها ديناً فلن تزيده إلا ضلالاً على ضلال.

والقرآن عندما خاطب العقل وحثه على التفكير الموصل إلى العلم بالسنن الكونية والطبيعية فقد جعل المعجز حيشما ينظر العقل، ويكون الدين الإسلامي هو دين المعجزات التي يعمل العقل لإدراكها، ويكون دين المعجزات في كل شيء، بعدما وضع المعجز في موضعه من التفكير ومن الاعتقاد.

وَحَسِبَ الدِّينُ أَنْ يَكُونَ صَالِحاً بِأَنَّهُ نَهَضَ بِالْعَقْلِ وَسَمَاً بِالنَّفْسِ،  
وجعل المعجز تابعاً لأصل الإيمان بعدما كان أصل الإيمان تابعاً للمعجز.

وكما سُخِّرَ البشَر من المعجز الخارق للمعادة والسنن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ (١).

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٤٦ - ٤٨.

كذلك سخر البشر من المعجز الموافق للسنن والمؤدي إلى  
الهدى الإيماني، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ  
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾<sup>(١)</sup>.



---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٤.

## لوازم الخطاب القرآني للعقل

اللوازم للخطاب القرآني متعددة وهي:

الأول: التفكير أمرٌ لا بدّ منه، لأنه بعدما خلق الله الإنسان فمن غير المقبول في حكمة الله أن يسلبه القدرة على التفكير بعدما أعطاه العقل، فالتفكير أمرٌ وجودي تكويني لا بدّ منه.

والخطاب القرآني للعقل - كما تقدم - يستدعي أن يكون القرآن واعياً للتفكير، بالإضافة إلى الآيات الكثيرة التي دعت إليه، وقد تقدم بعضها.

وعليه فالتفكير فريضة وجودية وفريضة قرآنية إسلامية، وهذا الحثّ على التفكير لأن الحكمة الإلهية اقتضت ولادة الإنسان بلا إدراك ولا تمييز ولا علم ولا عقل، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَفْرَحَكُم مِّنْ يُطُورِينَ أَمْهَلَتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة التحل، الآية: ٧٨.

وإلا لو كان له إدراك وتمييز وعقل عند الولادة لترتب على ذلك مقاصد.

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURĀNIC THOUGHT



منها: عدم قدرته على تحمل معرفة العالم الدنيوي دفعةً واحدة، لأنه عالم غريب عنه، كثير الأسرار، وهذا ما يوجب إصابته بالدهشة والحيرة.

ومنها: مذلته ومهانتة الناشئة من إدراكه لضعف بدنه وعدم قدرته، فلا يستطيع الحركة ولا القيام ولا المشي ولا الاستقلال في تحصيل منافع ودفع مضاره، ويرى نفسه ملفوفاً بقماش، مُمدداً على سرير، مربوطاً بقماط، ينظف ويُلبس ويُطعم.

ومنها: أنه سيرى عند خروجه من الرحم إلى عالم الدنيا من أمه ما يقبح أن يراه.

فاقتضت الحكمة الإلهية أن يُولد غافلاً غير ملتفت، جاهلاً غير عالم، لحدّ والديه على العناية به والالتذاذ بتربيته، ولإقبال المولود على تحمل معاني الحياة وكشف أسرار الكون ومعالم السلوك بالتدرّج، التي هي السُّنة التي لا بدّ منها.

الثاني: ما يقابل وظائف العقل، فالقرآن الذي خاطب العقل، فهو قد خاطب العقل الذي يدرك الحقائق (وهو المدرك) ويميّز بين الأمور ويوازن بين الأضداد ويتدبّر في العواقب (وهو الحكيم) ويتبصّر الطريق المستقيم بإدراك الوظائف الإنسانية تجاه الموجودات (وهو الرشيد)، ويلازم هذه الوظائف العقلية عصمة النفس بردعها عن القبيح ويعثها ودفعها والأخذ بها إلى الحُسن (وهو الرادع الباعث).

ولم يخاطب القرآن العقل الذي قصاره من الإدراك أنه يقابل الجنون، فالجنون يُسقط التكليف عقلاً، ويسقطه في جميع الشرائع والأعراف والعادات.

ولكن القرآن خاطب العقل بوظائفه الثلاثة المتقدمة، الذي يقابلها الجمود في قبال المدرك، والعتى في قبال الحكيم، والضلال في قبال الرشيد، وهذه أمور غير مسقطه للتكليف.

وليس لأحد أن يعتذر بها كما يعتذر المجنون بجنونه، فإن الجمود وأخويه لا يدفعون الملامة، ولا يمنعون المؤاخذه بالتقصير.

الثالث: الحث على طلب مطلق العلم، فلم يخاطب القرآن العقل ويحثه على التفكير إلا لأن عنده القدرة على سير آيات الكون داخل النفس وخارجها، قال تعالى: ﴿سَرَّبْنَاهُ مَا بَيَّنَّا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هذا السبب العقلي للكون يحصل العلم، فلذا حث القرآن على طلب العلم، وعلى الاستفادة منه كلما نَجَمَ جديد، بل الإسلام جعل العلم عبادة، إذ خيرُ العبادة أن يهتدي الإنسان إلى سرِّ الله في خلقه، ويهتدي إلى حقائق الوجود، ففي الخبر الرضوي: (ليس العبادة كثرة الصلاة والصيام، إنما العبادة التَّفَكُّر في أمر الله عز وجل)<sup>(٢)</sup>.

ومن الخطأ القول: إن القرآن حثَّ على طلب العلم الديني فقط، باعتبار آية النقر، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

(٢) البحار ج ٦٨ ص ٣٢٢، حديث: ٤.

لِيَسْأَلُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَقَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ  
 وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١﴾، لأنه حث على  
 طلب كل العلوم باعتبار آيات التفكير والتدبير والتعقل والنظر، قال  
 تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ  
 شَيْءٍ﴾ (٢).

وقد أدرك المسلمون من القرآن هذا الحث على كل العلوم،  
 فلذا أقبلوا على العلوم والثقافات اليونانية والفارسية والهندية في أوائل  
 حضارتهم، كما أقبلوا على العلوم والثقافات الغربية عندما أصبحوا  
 على هامش الحضارة المادية السائدة اليوم، ومع حثه على العلم لا بد  
 أن يكون خالياً عن كل ما يناقض وسائل إثبات المعلوم، كما هو حال  
 عن التعارض مع مسائل العلم التي تثبت ثبوت اليقين، لأنه بعد اليقين  
 لا تقوض هذه المسائل بعد زسوخ، ولا تتزعزع بعد ثبوت.

ولكن ليس من شأن القرآن ولا الإسلام أن يُفصل في مسائل  
 العلم التي تتجدد في كل زمان على سُنّة التقدم، من ناقص يتم،  
 وغامض يتضح، ومورع يجتمع، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين  
 يترقى إلى اليقين.

فالحذر كل الحذر من الإفراط في محاولات التوفيق بين القرآن  
 وبين ما يأتي باسم العلم في كل جليل ودقيق مما لم يثبت ثبوت  
 اليقين، بل الحذر من الدعوى والزعم بأن كل ما تستبطنه العقول من  
 العلوم فهو مطابق للكتاب الكريم في ألفاظه ومعانيه، لأن القرآن ليس

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٨٥.

كتاب علوم وإن كان فيه إشارات إليها، بل هو كتاب هداية للإيمان، وهداية للتريّ بزي العبودية لله جلّ وعلا، وهداية لتحديد وتقويم السير السلوكي الإنساني.

الرابع: من الخطاب القرآني للعقل فيكون القرآن قد أقرّ بجملة من الأمور.

أ - الإقرار بكون العقل مصدراً من مصادر المعرفة.

ب - تحديد وظائفه المدركة والحكمية والرشدية، وأما العقل الرادع والباعث فليس له مدخلة في تحصيل المعرفة، ولكن هو عماد التربية، لأن له تمام الدخّل في تحسين الاختيار والإرادة، والتربية توأم العلم، ولذا قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ج - الحثّ على النظر والتدبر والتفكير، والآيات كثيرة، وقد تقدم بعضها.

منها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

والنظر ليس للإعتبار والعبرة فقط، بل للإستكشاف والإدراك، ولذا وردت آيات النظر إلى الإنسان، وإلى ما حوله، بل إلى تمام الكون، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ يُخْرَجُ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ تَلْوَانٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَكْثَابٌ ﴿٧﴾﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿١٣﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿١٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿١٧﴾ وَعَسَا وَمَسَا ﴿١٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿١٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلَابًا ﴿٢٠﴾ وَفَكَّهُمْ وَأَبَا ﴿٢١﴾ مَنَّامًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (٣).

فالآيات القرآنية المتعلقة بالنظر هي الموجه والمرشد الذي يُبرز الآفاق التي لاحدود لها في تحصيل المعرفة، وبهذا إقرار باستحالة انسداد آفاق المعرفة بلا فرق بين الآيات الكونية والآفاقية وبين الآيات الأنفسية وبين الآيات القرآنية.

د - الاعتماد على البرهان، وهو الدليل القاطع، وهو الذي جعله العقل دليلاً على تحصيل المعارف.

قال تعالى: ﴿أَمْ يَدْعُوا لِمَلَأْنَا قُلُوبَهُمْ قَبْرًا وَعَيْنُهُمْ يُبْصِرُ ﴿٥﴾ وَمَنْ يُرِزُّكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَوْلَا مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ فَهَأَنؤَا بَرَهْنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَبِعُونِي يُعْبَأْ بِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنْ

(١) سورة الطارق، الآيات: ٥ - ٧.

(٢) سورة عبس، الآيات: ٢٤ - ٣٢.

(٣) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ - ٢٠.

(٤) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٤٣.



عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ يّبَدِّئُ اَقْوٰلُوكَ عَلٰى اَللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿١١﴾، وقال تعالى: ﴿اَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِيْنٌ ﴿١٢٦﴾ فَاَتَاوْا بِكَيْبٰرِكٍ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿١٢٧﴾﴾ (١٢)، والسلطان هو الحجة، لأنه يوجب تسلط صاحبه واقتداره على الجاهل.

هـ - عدم الاعتماد على الظن، قال تعالى: ﴿اِنَّ اَلظَّنَّ لَا يَتَّبِعِيْ مِنَ اَلْحَقِّ شَيْئًا﴾ (١٣)، والعقل حاكم بعدم حجيته لعدم تمام انكشافه عن الواقع، لمصاحبته لاحتمال الخلاف، وإذا لم تصح بدلية الظن عن العلم فلا تصح بدلية الشك والوهم، لأنهما أضعف منه في الكاشفية عن الواقع.

الخامس: عندما خاطب القرآن العقل بكل وظائفه كان الخطاب القرآني متوجهاً إلى عقل الإنسان، ليصل إلى الفهم القويم والتفكير السليم ليتولى الإنسان هداية نفسه بعقله وفهمه، وهكذا كان خطاب الأنبياء ﷺ لأقوالهم، ففي الخبر الصادقي: (ما كلم رسول الله ﷺ العباد بكنهه عقله قط، وقال رسول الله ﷺ: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم) (١٤).

وعندما طُلب من العقل أن يَبْلُغَ وسعه في الإدراك والحكمة والرشاد ليهدي صاحبه فلا محالة يكون حساب العمل على الإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لِّئْسَ لِلإِنْسٰنِ اِلَّا مَا سَعٰى ﴿١٢٦﴾ وَأَنْ سَعِيْهُ سَوْفَ

(١) سورة يونس، الآية: ٦٨.

(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣٦.

(٤) أصول الكافي ج ١ ص ٢٣ حديث: ١٥.

يُرَى ﴿٤﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿كُلُّ أُنثَىٰ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنٌ﴾<sup>(٢)</sup>، أي:

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURANIC THOUGHT

محبوس بعمله ومؤاخذ عليه.

وإذا كان العقل هو إعمال الفكر للوصول إلى الحق، وتمييزه عن الباطل، ولمعرفة الصواب من الخطأ، والصالح من الفاسد، ولوضع الأمور في مواضعها، ولتقرير المواقف السليمة مع الآخرين فالكثير من الناس مفكرون ولكن العقلاء منهم قليل، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَمُؤُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وعلى هذا وردت الأخبار الكثيرة، ففي الخبر الصادقي: (من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة)<sup>(٤)</sup>.

وفي خبره الآخر: (قلت له: ما العقل؟ قال: ما عُبد به الرحمان، واكْتُسب به الجنان)<sup>(٥)</sup>.

وخبره الثالث عن رسول الله ﷺ: (إذا رأيتم الرجل كثير الصلاة والصيام فلا تباهاوا به حتى تنظروا كيف عقله)<sup>(٦)</sup>.

وخبره الرابع عن رسول الله ﷺ: (إذا بلغكم عن رجلٍ حُسن حالٍ فانظروا في حُسن عقله، فإنما يُجازى بعقله)<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة التَّجْمِ، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

(٢) سورة الطُّور، الآية: ٢١.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٢.

(٤) أصول الكافي ج ١ ص ١١، حديث ٦ من كتاب العقل والجهل.

(٥) المصدر نفسه حديث: ٣.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٦ حديث ٢٨.

(٧) المصدر نفسه ص ١٢ حديث ٩.

وفي النبوي: (قُسِّمَ العقل على ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كُمل عقله، ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حُسن المعرفة بالله، وحُسن الطاعة له، وحُسن الصبر على أمره)<sup>(١)</sup>.

وفي الخبر الكاظمي: (يا هشام، إن ضوء الجسد في عينيه، فإذا كان البصرُ مضيئاً استضاء الجسدُ كلُّه، وإن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه، وإن كان جاهلاً بربه لم يقم له دين، وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، ولا تثبت النية الصادقة إلا بالعقل)<sup>(٢)</sup>.

وفي الخبر الباقرى: (إنما يُدّاق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدرِ على ما آتاهم من العقول في الدنيا)<sup>(٣)</sup>، والمدّاقة: المناقشة والتدقيق في الحساب.



(١) البحار ج ١ ص ١٠٦، حديث: ١.

(٢) البحار ج ١ ص ١٥٢، حديث: ٣٠.

(٣) أصول الكافي ج ١ ص ١١ حديث: ٧.

# الفصل الثاني

## تكوين العقلية الفكرية

- ١ مصادر العقلية الفكرية
- ٢ دور الحواس في تحصيل المعرفة
- ٣ دور القلب في تحصيل المعرفة.
- ٤ دور الوحي في تحصيل المعرفة.
- ٥ دور العقل في تحصيل المعرفة من عالم الشهادة.
- ٦ دور العقل في إدراك عالم الغيب.
- ٧ أهمية العقل والوحي.



## مصادر العقلية الفكرية

**العقلية الفكرية تستمد معارفها من أربعة مصادر:**

الأول: الحواس.

الثاني: العقل.

الثالث: القلب الذي هو نافذة النفس على البدن، وهو مصدر للمعرفة الفطرية، والمعرفة الإلهامية، والمعرفة المتجسدة في المنامات.

الرابع: الوحي السماوي.

أما الحواس فقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْغَيْثِ مَائِدَةً وَلِيُثَبِّتَ عَلَيْكَ الْوَسْطَانَ وَهُوَ الْعَقْلُ وَاللَّهُ يَهْدِي لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ﴾ (١).

وَدَكَرَ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ لِأَنَّهُمَا أَكْثَرُ الْحَوَاسِ اسْتِعْمَالًا لِلْإِدْرَاكِ.

وأما العقل فالآيات الكثيرة دالة على التعقل والتدبر والتفكير، وقد تقدم بعضها.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

وأما القلب فمعارفه من الفطرة والإلهام والمنام، أما الفطرة فقال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما الإلهام فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِلُوا بِرُسُلِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تمشونَ بِهِ وَيَمَيِّزْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِن رَّبِّهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلسَّامِعِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وأما المنام ففي القرآن رؤيا يوسف ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، ورؤيا فتية يوسف، يوسف ٣٦، ورؤيا ملك مصر، يوسف ٤٣، ورؤيا النبي الأعظم ﷺ نزو بني أمية على منبره، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّسُلَ الَّتِي أَرْسَلْنَا إِلَّا قِنْدًا لِّنَّاسٍ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾<sup>(٧)</sup>، ورؤيا النبي الأعظم ﷺ دخول المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ

- 
- (١) سورة الروم، الآية: ٣٠.
  - (٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
  - (٣) سورة الحديد، الآية: ٢٨.
  - (٤) سورة الزمر، الآية: ٢٢.
  - (٥) سورة الحجر، الآية: ٧٥.
  - (٦) سورة يوسف، الآية: ٤.
  - (٧) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

رَسُولَهُ الرَّبِّيَا بِالْحَقِّ لَتَنْظُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُخْلِفينَ  
رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴿١﴾.

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURĀNIC THOUGHT

وأما الوحي السماوي فتمثل بالقرآن وبالنبي الأعظم ﷺ، قال  
تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى:  
﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَاكَ الرَّسُولُ  
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكَ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(٤)</sup>.



---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

## دور الحواس في تحصيل المعرفة

الحواس الظاهرة للإنسان خمسة: البصر، والسمع، والشم،  
والذوق، واللمس.

فالبصر - ومجراه في العينين - لإدراك المبصرات، وهي أنواع  
منها: النور والظلمة واللون من السواد والبياض والحمرة والصفرة  
وغيرها، ومنها: المقادير ذات الأبعاد، والأشكال والصور،  
والحركات والسكون.

والسمع - ومجراه في الأذنين - لإدراك المسموعات، وهي  
الأصوات، وهي حيوانية وغيرها، وغير الحيوانية كصوت الرعد  
وحفيف ورق الشجر وخرير الماء.

والحيوانية نوعان، منطقية وغير منطقية، فغير المنطقية كسهيل  
الخيال ونهيق الحمار وخوار الثور.

والمنطقية دالٌ وغير دال، فغير الدال كالألحان والنغمات  
والضحك والبكاء والصراخ والأنين، والدال هو الملفوظ بالحروف  
الهجائية.



والشمّ - ومجراه في المنخرين - لإدراك الروائح، وهي نوعان:  
لذيذة وكريهة، فاللذيذ يُسمى بالطيب، والكريه يُسمى بالستن.

والذوق - ومجراه في اللسان - لإدراك المطعوم، وهو على  
أنواع: الحلاوة الملائمة لطبع الإنسان، والمرارة المنافية له، وما  
بينهما من الحموضة والملوحة والحرافة والعذوية.

واللمس - ومجراه في كل أنحاء الجسم، والأحاسة الفاعلة له هي  
اليدان - لإدراك الملموسات، وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة  
واللين والخشونة والصلابة والرخاوة.

والحواس بما هي أدوات للمعرفة لا تصلح أن تكون مصدراً  
للمعرفة ما لم تعتمد على العقل.



## دور القلب في تحصيل المعرفة

المعرفة من المنام قليلة بل نادرة، وهي غالباً ما تتعلق بالفرد في سلوكه الحياتي المعاشي أو في سلوكه الإنساني أو العبودي، والمنام الصادق مندرج تحت التوفيق الإلهي، ولقلته أو ندرته لم يذكره الكثير من مصادر المعرفة.

والإلهام منحصر في السير السلوكي الإنساني فقط، ولا يتعدى إلى كشف الحقائق الدنيوية والدينية، وما يُدعى أكثر من ذلك فهو على مدعيه، لأن الأدلة الدالة على مصدرية الإلهام لا تدل على أكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾<sup>(١)</sup>، بل الدعوى بأكثر من ذلك تعطيل لدور العقل أو قصور في فهم الوحي.

والفطرة لها تطلعات وميول، فالتطلعات متعلقة بالقيم والمبادئ العامة، والميول متعلقة بالحاجات الجسدية وتسمى بالغرائز. فالقيم والحاجات هي آفاق النفس، فتريد أن تتلبس بالأولى لتكتمل، وأن تشبع من الثانية أو تأخذ حاجتها منها، وفي قسمي القيم والحاجات

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

تستقر النفس عند إشباع حاجتها الروحية والجسدية. وبعد المائز الحقيقي بين التطلعات والميول، فالميول تدفع النفس للإشباع بدون توسط العقل، كخريزة حب الأكل المترتب عليه حفظ النفس، وغريزة حب النكاح المترتب عليه بقاء النوع الإنساني. والتطلعات لا تتلبس النفس بها إلا بتوسط العقل، وهذه التطلعات ثلاثة: حب الكمال وحب الجمال وحب الخير، والخير أعم من العلم والقيم والمبادئ. وعليه لا بدّ من إعمال العقل في تقرير حقائق الفطرة، ومعرفة أنواعها ووظائفها.

نعم الفطرة دليل معصوم من جهة أن تعلقها بالشيء دليل على وجوده، لأن الخالق جلّ وعلا عندما خلق النفس خلقها بميسم تكويني وبكيفية خاصة، وهذا الميسم التكويني والكيفية الخاصة هي المسماة بالفطرة التي تدفع الإنسان بواسطة عقله أو بدونه لتتميم نواقصه وسدّ حوائجه.

وباعتبار أن الخالق حكيم فلا بدّ أن يُوجد ما تعلقت به النفس وإلا لكان على خلاف حكمة الخالق.



## دور الوحي في تحصيل المعرفة

الوحي - كمصدرٍ للمعرفة - هو الدين الذي أنزله الله جلّ وعلا عنى نبيه الأعظم محمد ﷺ، وهذا الدين رسالة شاملة كاملة خاتمة للشرائع والأديان، وخالدة إلى يوم القيامة، فيها هداية الناس وإرشادهم إلى معنى وجودهم، وفيها توضيح غاية الوجود الإنساني ومكانة هذا الوجود بين بقية الكائنات، وفيها تبيان للمقاصد والغايات، وتفصيلٌ للمبادئ والقيم والأحكام، وبيان مصير الإنسان بعد هذه الحياة الدنيوية مع بيان عالم البرزخ ومواقف يوم القيامة والجنة والنار.

وليس الإنسان من وسيلة لمعرفة يقينية بغاية الوجود الإنساني ومكانته ومصيره إلا بالوحي.



## دور العقل

### في تحصيل المعرفة في عالم الشهادة

الشهادة مأخوذة من الشهود بمعنى الحضور، فعالم الشهادة هو ما يمكن إدراكه للإنسان بحواسه الظاهرة والباطنة، وعالم الغيب هو ما لا يمكن للإنسان إدراكه بحواسه الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْبَاطِنَةُ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

والحواس الظاهرة خمسة: البصر والسمع والشم والذوق واللمس، وقد تقدم الكلام فيها.

والحواس الباطنة خمسة أيضاً: العقل، والذاكرة المسماة بالحافظة، والخيال المسمى بالمتخيلة، والوهم المسمى بالمتوهمة، والإدراك النفسي الباطني.

فالعقل للإدراك والحكمة والرشد، والذاكرة لحفظ المعلوم إلى

(١) سورة التغابن، الآية: ١٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٢٢.

وقت حاجة استحضاره، والخيال لإدراك صور الأشياء، والوهم  
لإدراك المعاني الجزئية.

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURĀNIC THOUGHT

والإدراك الباطني لمعرفة ما يوجد وما يطرأ على النفس من  
شعور ودوافع وخواطر ووساوس.

فالشعور هو الحالة الفعلية التي تغمر النفس.

والدوافع هي ما ذكر في النفس من تطلعات وميول، فالتطلعات  
من حب الكمال والجمال والخير قد رُكزت فيها بحسب تعلقها  
بعالمها، والميول والمسماة بالفرائض قد رُكزت فيها بحسب تعلقها  
بالبدن.

والأخيران معروفان المعنى والمصدر.

وعليه فالعقل له القدرة على سبر آيات عالم الشهادة داخل  
النفس وخارجها، قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ  
حَقٌّ يَّعِينُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١).

فدوره استكشاف ما في عالم الشهادة من سنن وطبائع  
وإمكانات، واستنباط ما أودعه الله من معايير ومفاهيم، وتحصيل ما  
في عالم الشهادة من علاقات طبيعية وإنسانية واجتماعية، وتقرير  
الوظائف تجاه ما يدركه.

وبعبارة أخرى فدوره تحصيل العلم من ناحية إخراج الموجود  
من العدم، ومن ناحية ماهية هذا الموجود، ومن ناحية حاجاته

(١) سورة فُصِّلَتْ، الآية: ٥٣.

وامتعداده وإمكاناته، ومن ناحية غاياته وكماله، ومن ناحية علاقاته  
مع بقية الموجودات، ومن ناحية الوظيفة التي يجب عملها تجاهه،  
وهكذا بالنسبة لبقية الموجودات.



## دور العقل في إدراك عالم الغيب

عالم الغيب - على ما تقدم - هو ما لا يمكن إدراكه للإنسان بواسطة حواسه الظاهرة والباطنة، وهو على قسمين بالنسبة للإنسان، قسم له دخل في سيري الإنسان الوجودي والسلوكي، وقسم ليس له الدخول في السيرين المذكورين.

فالقسم الذي له الدخول في سيريه الوجودي والسلوكي، وكان مما ينفعه في أداء دوره، وكان له نفع في الوصول إلى غايته فقد أنزله الله تعالى عبر أنبيائه ورسله بكتبه وشرائعه.

وما له الدخول في السيرين المذكورين وهو ما لا ينفعه في أداء دوره ولا ينفعه في الوصول إلى غايته فقد مُنِعَ منه، كعلمه بأجله، فلو علم أجله فحينئذ إن كان الأجل قصيراً لم يتهنأ بعيش، وإن كان طويلاً لأنهمك في اللذات وأجل التوبة، وكلا الأمرين غير مرضي في الحكمة الإلهية الربوبية، فاقترضت الحكمة حجب العلم بأجله ليبقى مترقباً له مع وجود أمل عنده، إذ لولا الأمل لبطل دافع الحياة.

وما له الدخول في السيرين المذكورين، وقد ينفعه في أداء دوره أو في الوصول إلى غايته إلا أن سيئاته أكثر من حسناته فقد مُنِعَ منه،

أيضاً



معرفة الضمائر والنيات عند الآخرين، لما يترتب على هذه المعرفة من فساد العلاقات المبنية على الثقة.

والقسم الذي ليس له الدخول في السيرين المذكورين فقد مُنِع منه، لأنه ليس من شأنه الإطلاع عليه، أو لا تتحمل طاقته العلم به، ومن الأول علم ما فوق السماء وما تحت الأرض، ومن الثاني معرفة ذات الله جل وعلا.

إلا أن الغيب الممنوع منه ممنوع عليه معرفة إحاطة وسبر وفهم للماهية ودورها، لا معرفة إدراك وتيقن وجود هذه الماهية.

وعليه فعقيدة المسلم في الغيب أنه شيء يعلمه الله ولا يعلمه الإنسان، ولكنه لا يناقض العقل ولا يلغيه، فليس الغيب ضدَّ العقل لو عرّفه وانكشف الغطاء عنه، ولكنه فوق العقل، لأن تحمل الإنسان محدود والغيب مطلقٌ غير محدود.

والفارق عظيم بين ما هو ضدَّ العقل وبين ما هو فوقه، فما هو ضدَّ العقل فهو يلغي العقل ويعطله بمنعه عن التفكير، وما هو فوق العقل فهو يُطلق للعقل مداه إلى أن يصل إلى غاية ذرعه في فهم الغيب فهمٌ إدراك.

ثم يقف العقلُ حيث ينبغي له الوقوف، يقف فيقبله بالإيمان به، فحق العقل أن يُدرك ما وسعه من جانبه المحدود، ولكن لا يدرك الحقيقة كلها من جانبها المطلق إلا بالإيمان، وحيث يبلغ الإنسان هذا المبلغ فقد انتهى إليه العقل والإيمان على وفاق، ولا يصل إليه من أي مدرسة فلسفية أو نظرية دينية غير إسلامية، مع الالتفات إلى أن من يرفض الإيمان بغير المحدود - الذي هو الغيب - فهو يرفض الإيمان

بما يستحق الإيمان.

هذا والإنسان بنفسه يُمثل خير تمثيل لعالمي الشهادة والغيب،  
وكيفية التعاطي معهما، فالإنسان يعلو على شهواته وغرائز نفسه بعقله،  
ويسمو على عقله بنفسه المرتبطة تعلقاً بالله جلّ وعلا، فيتصل من  
جانب غرائزه وشهواته بقوى بدنه، وهي دوافع الحياة الجسدية، وهذا  
الجانب من النفس غير خفي على الإنسان.

ويتصل من جانب فطرته بالله جلّ وعلا، وهذا الجانب خفي  
على الإنسان، فلذا لا يناسب العقل الإنساني المحدود أن يحيط  
بالروح إلا بالإشارة والتقريب، قال تعالى: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ  
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.



(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

## أهمية العقل والوحي

شاع في العصور المتأخرة رأيٌ بحصر المعرفة بالحواس فقط، وهذا ما يرفضه التكوين المعاشي للإنسان، لأن المنقول عبر الحواس لا تستقر حقائقه ولا يُفهم بواقعه إلا من خلال العقل.

كما شاع رأيٌ بحصر المعرفة بالعقل فقط، ويردّه أنه يجعل المعرفة مقصورة على الأمور الكلية، مع أن التفاعل والانفعال الحادّين من معايشة الإنسان للجزئيات الحياتية والنفسية والكونية أمرٌ باذٍ للعيان.

فلا يجوز الاقتصار في تكوين العقلية الفكرية على مصدر واحد من مصادر المعرفة، بل لا بدّ من استمداد المعرفة من الجميع، كلٌّ في مجاله وبقدر وسعه.

إلا أن غالبية المعرفة آتية من العقل والوحي، والذي يحتل المرتبة الأولى في ميزان استقرار الحقائق في ذاتها وقبولها عند الإنسان هو العقل، ولذا كان معرفة نزول الوحي والدين من قبل الله عز وجل مبنية على العقل، بل كان عماد أصول الدين من التوحيد

والنبوة مرتكزاً على العقل، وكان معرفة الصادق من مدعي النبوة متوقفة على العقل، وهكذا.

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURĀNIC THOUGHT

ففي النبوي: (قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له)<sup>(١)</sup>.

وفي العلوي: (العقول أئمة الأفكار، والأفكار أئمة القلوب،

والقلوب أئمة الحواس، والحواس أئمة الأعضاء)<sup>(٢)</sup>.



---

(١) البحار ج ١ ص ٩٤ حديث: ٩٤.

(٢) البحار ج: ١ ص ٩٦ حديث: ٤٠.

# الفصل الثالث

## غاية التفكير

- ١ الإنسان هو المحور الغائي للكون
- ٢ التعاريف المتداولة للإنسان.
- ٣ الإنسان بنظرة إسلامية.
- ٤ حقيقة الإنسان ليست عقلية، بل نفسية لها القدرة العقلية.
- ٥ معنى الاستخلاف ووظائفه.
- ٦ انجاز الدور الإستخلافي.



## الإنسان هو المحور الغائي للكون

مرّ خلق آدم ﷺ بمراحل.

الأولى: المرحلة الترابية، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(١)</sup>.

الثانية: المرحلة الطينية، وهي جبل التراب بشيء من الماء فيصير طيناً لازباً، أي: متماسكاً يلتصق ببعضه ببعض، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

الثالثة: مرور الطين بمراحل حتى صار كالصلصال، وهو ما إذا جفت الطين ويُبس من دون مسّ النار له، وصار له صوت إذا نُقر باليد، فهو يشبه الفخار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾<sup>(٤)</sup>، والحمأ هو

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١١.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٢.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٢٨.

الطين المتغير والذي يسود من مجاورة الماء له وخلطه به، والمسنون:  
المصنور.

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الرابعة: المرحلة البشرية، وذلك عندما توجهت إرادة الله لبعث  
الروح في هذه الكتلة الصلصالية فكان الإنسان.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلْصَلٍ مِّن  
حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٧٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (١).

وأما بالنسبة لبني آدم، فقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ  
وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٧١﴾  
ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِي وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا  
مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ  
جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي فَوْءٍ مَّكِينٍ ﴿١٨﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْسَ الْعَلَقَةَ فَخَلَقْنَا الْمَلَكَةَ مَضْجَعَةً  
فَخَلَقْنَا الْمَضْجَعَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْوِطْنَءَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ  
اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٩﴾﴾ (٣).

بعد خلق آدم ﷺ ونفخ الروح فيه - وعبر المولى عنها بأنها من  
روحه، بمعنى أن الله جلّ وعلا بثّ في الكتلة الصلصالية الروح من  
دون توسط أسباب، بل كان خلقها تابعاً لأمر الله جلّ وعلا مباشرة  
كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن

(١) سورة الحجر، الآيات: ٢٨ - ٢٩.

(٢) سورة السجدة، الآيات: ٧ - ٩.

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ - ١٤.

رَبِّ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١﴾، وقوله تعالى: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ  
 لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ ﴿١٢﴾ - أمر الله جل وعلا ملائكته بالسجود له، قال  
 تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ﴿٣٣﴾، وكلهم  
 سجدوا كما قال تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَتْمَعُونَ ﴿٣٤﴾ إِلَّا  
 إِبْلِيسَ﴾ ﴿٤٤﴾، وعاتبه ربه بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا  
 خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ ﴿٥٥﴾، وأجابه كما قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعْتُهُمْ أَنْ يَسْجُدَ لِمَنْ خَلَقْتَ  
 طِينًا﴾ ﴿٦٦﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِيَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ  
 مِنْ حَمَلٍ مَّتَّوْنٍ﴾ ﴿٧٧﴾، وقال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا  
 خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٨٨﴾.

وإبليس من الجن، والجن من النار، قال تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا  
 إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ﴿٩٩﴾، وقال تعالى: ﴿وَالْبَلَّاءُ خَلَقْتَهُ  
 مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ ﴿١٠٠﴾، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ  
 كَالْفَخَّارِ ﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٦﴾﴾ ﴿١١١﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٣٠ - ٣١.

(٥) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٦١.

(٧) سورة الحجر، الآية: ٣٣.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٩) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(١٠) سورة الحجر، الآية: ٢٧.

(١١) سورة الرحمن، الآيتان: ١٤ - ١٥.



والآيات الأمرة بالسجود وإن خصت الأمر بالملائكة إلا أنه يعم إبليس، وإلا لأجاب عندما عاتبه ربه بعلم الأمر، مع أن الله جل وعلا قال: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن هنا ينشأ سؤال: إذا لم يكن إبليس من الملائكة، والآيات خصت الأمر السجودي بهم فكيف توجه الأمر إلى إبليس؟

والجواب: أن إبليس - وهو من الجن - كان يسكن السماء، والأمر السجودي كان للمشاهدين الحاضرين في السماء، وهو من جملتهم فعنه الخطاب، لكن باعتبار أن غالبهم من الملائكة خص الأمر بهم من باب التغليب.

ومعنى السجود الملائكي للإنسان هو: أنهم مسخرون للعمل له حتى يصل إلى كماله، فالسجود له سجود تفضيل، فهو أفضل منهم فلذا سُخِّرُوا للعمل له، وليس سجودهم سجود تكريم، ولا سجود تعظيم، ولا سجوداً إليه يجعله قبلة لسجودهم، بل سجودهم التعظيمي لله جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿وَسُيِّئُونَ لَهُمْ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>، وعليه فهم مسخرون للعمل له، بل هو المخلوق الوحيد الذي سُخِّرَ له الكون، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ يَوْمَئِذٍ وَبَابِلَئِنَّةً﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٦.

(٣) سورة الجنائنة، الآية: ١٣.

(٤) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

ومن آيات التسخير يستفاد أن الإنسان هو المحور الغائي من خلق الكون، وهو سيّده، والمحور الغائي هو الغاية من الخلق التكويني، لا أنه المحور الطبيعي للكون - كما توهم - بحيث إن كل الأجرام تدور حول الأرض لحلول الإنسان فيها.

وكان المحور الغائي لأن الله جعله خليفةً له في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup>، ولأنه الخليفة فهو المخلوق الوحيد الذي أخبر الله ملائكته عنه قبل خلقه كما في الآية المتقدمة، ولذا اعترضت الملائكة حين إخبارها، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ فَسِخٌ بِمَعْبَدِكَ وَنَقَدُ لَكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولأنه الخليفة فقد خلقه في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّوْكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

وفضله على بقية مخلوقاته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>، والمعنى - والله العالم - وفضلناهم على من خلقنا، وما خلقناه كثير.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) سورة التين، الآية: ٤.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٤.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

## التعاريف المتداولة للإنسان

عَرَّفَ الإنسان - وهو أول تعريف له في الفلسفة الإغريقية - بأنه حيوان ناطق.

وأشكل على الحيوانية في التعريف بإحساس الإنسان بالسمو والتفوق وهما مفقودان في الحيوان.

ورَدَّ الإشكال بأنه حيوان، لأنه يشارك جنسه الحيواني في النزوع إلى إشباع حاجاته الجسدية وتحقيق مطالب غريزته، فيسعى إلى طلب المأكل والمشرب والمأوى والأنيس استمراراً لحياته، وحفاظاً على نوعه، ويصدر في سلوكه بعض المنازاع الطبيعية كالحيوان، مثل العدوان والانتقام والكراهية والحب. وُحِصَّ بالناطق، لأن النطق إنما يكون عن فكرٍ سابق ومعنى قائم بالنفس.

ولإجمال التعريف في الناطقية عُدل عنه إلى تعريفه بأنه حيوان عاقل، أو حيوان مفكّر، أو ذو معرفة، أو يعمل بوعي، أو اجتماعي، أي: قادر على التفاهم مع بني جنسه، أو أخلاقي، أو حيوان حالم، وهذه أو ذو تاريخ، حتى وصل الأمر إلى تعريفه بأنه حيوان تلفزيوني، وهذه التعاريف كلها ترجع إلى تعريفه على أساس فلسفي فكري أو ثقافي.

وَعَرَّفَ الإنسان بأنه روحٌ علويةٌ سقطت إلى الأرض من السماء، وهذا التعريف ناظر إلى الخطيئة التي وقع فيها آدم ﷺ حين أكل من شجرة المعرفة بغواية الشيطان.

وأصحاب هذا التعريف يؤمنون بميراث الخطيئة التي وقع فيها آدم ﷺ فيريثها بنوه بعده إلى يوم القيامة، وهذا التعريف يرجع إلى أساس ديني اعتقادي.

وَعَرَّفَ الإنسان بأنه حيوان راقٍ، بحسب التطور بين أنواع الأحياء على مذهب النشوء والتطور والارتقاء، وهذا التعريف أرجعوه إلى أسس علمية وألبسوه ثوب العلم.

وحار الكثير في فهم حقيقة الإنسان وتعريفه، ولذا قال المعري:

والذي حارث البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جماد.  
هذا وتعريفه بأنه حيوان راقٍ مبنيٌّ على نظرية داروين، صاحب كتابي (أصل الأنواع أو الخلائق) و(سلالة الإنسان أو ظهور الإنسان).

وهي نظرية قائمة على أن كل الكائنات الحية محكومة بنظام النشوء والتطور والارتقاء، وهي ترجع إلى أصل مشترك انبثقت منه، وعندما برزت سلالة الإنسان المتحولة من سلالة القروود فقد برزت وهي منقسمة إلى ست عشرة مرتبة، أدناها الزوج ثم الماوية إلى الأورويين البيض في المرتبة العليا.

وهذه النظرية تبنتها العقائد الإلحادية، لأنها تفسر نشوء الخلق بدون الخالق.

ولكن لم تفسر هذه النظرية كيف بدأت الحياة على وجه الأرض

في الأصل المشترك، ولم تفسر الحلقة المفقودة بين القرد والإنسان، ولم تفسر السبب في وقوف التطور والارتقاء على هذه المراتب الستة عشر، ولم انقسم الإنسان عند بروزه إلى هذه المراتب.

وفي هذه الإشكالات هدمٌ لنظرية داروين وليس نقداً لبعض جوانبها.

وتعريف الإنسان بأنه روح علوية سقطت إلى الأرض من السماء فهو مبني على الفكر الكنسي المسيحي، وهو منقوض، لأنه إن أريد من الروح العلوية هي الملائكة - وليس هذا مقصودهم ولكن قد يتوهم - فالمَلَكُ له نفس غير مستقلة من ناحية الإرادة والاختيار، بل هو ذات لتلقي الأوامر وتنفيذها، قال تعالى: ﴿لَا يَصُورُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْقُونَهُمْ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿لَتَمُدَّ لَّهُ فَأَلِيرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثَوِّ وَفَلَتٌ وَرِزْقٌ زَيْدٌ فِي لِحَافِي مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

فتوصيف الملائكة بأنها ذوات أجنحة توصيف استعاري، فالجناح للطير ليوصله إلى غرضه، فاستعير الجناح للمَلَكُ للإشارة بأن له غرضاً، وهو تلقي الأمر والذهاب إلى تنفيذه، وإذا كان له غرضان أو أكثر فله أكثر من جناح، وعلى أساس هذا الوصف الاستعاري صُوِّرَ المَلَكُ في المخيال الشعبي بجناحين.

(١) سورة التَّحْرِيمِ، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦ - ٢٧.

(٣) سورة فَاطِرٍ، الآية: ١.

ولأنه محجوب عنا فهو مستور، كاستتار البنات، ولذا نسبوا إلى الله تعالى بأن له بناتاً عندما نسبوا له أولاداً وهم الملائكة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُونَ أُمَّلِكَكُمْ تَسِيَةً الْأُنثَى﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَقَكُمْ رَبُّكُم بِالنِّبِينَ وَالنَّبِيَّاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّا نَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يُؤْتِيهِ اللَّهُ لِمَنْ يُشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا الاعتقاد ما زال المخيال الشعبي يصور المَلَك بدون لحية ولا شارب كالبنات.

وإن أريد من التعريف بأن الروح العلوية هو الإنسان - وهذا هو مقصودهم من التعريف - إلا أنه مكتوب عليه العيش في الجنة السماوية، وبعد المعصية أخرجته الله جل وعلا إلى الأرض.

وعلى هذا الاعتقاد تترتب لوازم فاسدة، منها: أنه على خلاف القضاء الإلهي لو كان الأمر الإلهي بسكون الإنسان في الجنة السماوية.

ومنها: أن الله لم يقدر الكون لتناسل آدم ﷺ، وبسبب معصيته فيكون آدم ﷺ قد ورط خالقه برعاية بنيه المتناسلين عن هذه المعصية خارج الجنة.

ومنها: أن جنة آدم ﷺ في السماء، مع أنها في الأرض، غاية أنها قطعة من الأرض جعلها الله جل جلاله محكومة بنظام الجنة السماوية، المبني على نظام الاشتهاء الإنساني، قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَكُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَمِيزُ اللَّهُ

(١) سورة التجم، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٠.

قَتِيلِينَ ﴿١١﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُونَ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿١٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ ﴿١٣﴾.

وآدم ﷺ في فترة الحضانة وعدم الاستقلالية كان بحاجة إلى من يرعاه يقدم له الغذاء والشراب وينظف بدنه إلى غير ذلك مما يحتاجه الوليد فكانت جنته الأرضية المبنية على اشتائه هي حضائته.

وعندما وعى ونمت قدراته الجسدية والنفسية والفكرية واستقل بنفسه وأصبح قادراً على تلبية حاجاته طلب الخروج كما يخرج كل إنسان من حضانة العائلة الأبوية ليبنى أسرة تكون جزءاً من المجتمع.

وإذا كان هذا هو الأمر الطبيعي لآدم ﷺ وبنيه في فترة الحضانة، فمعصية آدم ﷺ أنه طلب الخروج بعد الاستقلال من دون انتظار الإذن الإلهي بالخروج، كمعصية يونس ﷺ بعدما أخبر بعذاب قومه بعد ثلاثة أيام فخرج قبل أن ينتظر الإذن الإلهي بالخروج.

ومنها: ميراث الخطيئة، ومعناه أن الإنسان محاسب بذنب أبيه، والعقل حاكم بأن هذا ظلم، والمولى لا يقدم عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزِدُّكَ عُقُوبًا وَيَنْزِعُكَ عُقُوبًا وَيُنزِلُكَ أَجْرًا﴾ ﴿٤﴾.

وتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق إلى آخر الأوصاف فهو من سطح شعرات العقل البشري من دون ربطه بغاية وجوده، بخلاف تعريف

٥٥ سورة فصل، الآية: ٣١.

٥٦ سورة فصلت، الآية: ٣١.

٥٧ سورة الأبيات، الآية: ١٠٢.

٥٨ سورة الأحكام، الآية: ١٦٤.

الإسلام له - كما سيأتي - فقد ربطه بغاية وجوده وماهية دوره، وهذا  
فازق بين الرؤية الوجودية التي قدمتها الفلسفة الاصطلاحية وبين الرؤية  
الوجودية التي قدمها الدين الإسلامي.





## الإنسان بنظرة إسلامية

الإنسان بنظر الإسلام هو خليفة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>(١)</sup>، ولأنه الخليفة فقد كرمه بالعقل وزوّده بالقدرة على العمل، وهذه القدرة محتفة بإرادتين: إرادة الخالق وإرادة المخلوق. ولأنه صاحب عقل وقدرة وإرادة فهو الوحيد القادر على تحمل أمانة التكليف، وهي الأمانة التي تحمّلها الإنسان بحسب تكوينه النفسي وأبتها السموات والأرض والجبال، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قبول الإنسان لأمانة التكليف سنة مغروسة في كيانه النفسي، وهذا ما ميزه عن بقية الكائنات، إلا أنه ظلم لأنه يتعدى الحدود وهو يعرفها، وجهول لأنه يتعدى الحدود وهو لا يعرفها، ولكن عنده أمانة تحفل التي تهديه إلى علم هذه الحدود.

١ سورة البقرة، الآية: ٣٠.

٢ سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

ولتحمله أمانة التكليف يكون مسؤولاً أمام خالقه عن أداء دوره الاستخلافي، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وبأمانة التكليف يرتفع مقاماً عالياً فوق مقام الملائكة، لأنه قادرٌ على الخير والشر بخلاف المَلَك الذي يصنع الخير فقط ولا يقدر على غيره ولا يعرف سواه.

وبهذه الأمانة يهبط الإنسان غروراً وسرفاً إلى زمرة الشياطين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي الحالتين لا تتبدل حقيقته البشرية وإن اختلفت توجهاتها واختلفت أعمال قدرته ومناحي تفكيره، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿١١﴾ وَأَنْ سَعَاهُ سَوْفَ يُرَى ﴿١٢﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

وفي الحالتين أيضاً فهو قابل للتسافل بعد الصعود بسبب مطاوعة الهوى والغرور والسرف وطغيان القوة والهلع من البلاء والطمع مع الضعف والإغراء.

كما أنه قابل للنهوض بعد العثرة، وقابل للتوبة بعد الخطيئة، غير محاسب على ماضيه فضلاً عن عدم محاسبة ما جناه سواه.

فالإنسان قنطرة من الأرض إلى السماء، ومعراج من التراب إلى

(١) سورة يونس، الآية: ١٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣٩ - ٤٠.

رب الأرباب، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدَمًا فَمَلْفِيهِ﴾<sup>(١)</sup>، فيرتفع الإنسان من التراب إلى السماء أوجاً فوق أوج في طريق عسير وطويل، وهو طريق النهوض بأمانة التكليف.

وإذا كان الإنسان مخلوق كخليفة لله جلّ وعلا، فالله جل جلاله صورة كاملة من (غاية الكمال في أشرف الصفات) مشيئة وعلم وعمل، وإبداع وإنشاء، وفتح وإيجاد، وكل واحدة منها مطلوبة من الإنسان قدر الإستطاعة على قاعدة الاستهداء بالصفات الإلهية. فكمال الإنسان ورفعته وشرفه بقدر ما تكون صفاته وأفعاله أقرب إلى الصفات والأفعال الإلهية.

وأدناه وأخسّه ما كان صفاته وأفعاله أبعد.

وبقاعدة الاستهداء بالصفات والأفعال الإلهية يستشعر الإنسان بكونيته وبأبعاده تكوينه اللامحدود، وينزوعه اللامحدود أيضاً، ويستشعر بالوجود وبالموجود، ويستشعر بمسؤوليته من ناحية دوره وأفعاله، ويستشعر التخصّص والتخشّع لله جلّ وعلا في كل أفعاله، وهذا كله لا يتم إلا بالعلم مع التوفيق الإلهي.

ولذا كانت أول الآيات النازلة على قلب النبي الأعظم ﷺ قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الآيات تحديد لبداية السير الوجودي للإنسان وأنه من علق، وتحديد لنهاية السير السلوكي وأنه العلم.

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

(٢) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

وتكرر فيها لفظ (الرب)، مع توصيفه بالخالق في الأولى، وهذا إشارة إلى بداية سيره الوجودي، وتوصيفه بالأكرمية في الثانية وهذا إشارة إلى أن الله جعله قادراً على التعلم، ولا يوصله إلى غاية خلقه ونهاية سيره السلوكي إلا بالعلم مع الترفيق الإلهي.

ولذا كان العلمُ أفضل نعمة بعد نعمة الخلق، إلا أنه العلم المحقق لخلافته في الأرض.

وإذا كان لا بدّ من تعريفه بحسب النظر الإسلامي فهو الكائن ذو النفس العاقلة، والمكلّفة والمسؤولة، والقابلة للتكامل والتساقط، فإن تكامل فهو قمة الخليقة، وإن تسافل فهو من زمرة الشياطين، وهذه النفس متعلقة بالله تطلعاً وتعبداً وتخصّصاً، ولا ترتوي إلا بالقرب منه، ولا تصلح إلا بالاستهداء بصفاته وأفعاله.

وعليه فهي غير النفس الحيوانية، لأنها غير عاقلة ولا مكلّفة ولا مسؤولة عن أعمالها، وغير قابلة للتكامل والتساقط، وليس فيها الفطرة التوحيدية، فلا يوجد قاسم مشترك بين النفسين، فتعريف الإنسان بأنه حيوان - وهذا ما يقتضي الإشتراك في جنس الحيوانية وفي ذات النفسية - ليس في محله.



## حقيقة الإنسان ليست عقلية بل نفسية لها القدرة العقلية

الإنسان ليس عقلاً محضاً، بل هو نفس وبدن، فالنفس هي التي تقود الإنسان قيادة سيطرة وإحكام، وهي التي تشقى وتلتذ، وهي التي تحب وتكره، وهي التي تقرر الفعل أو عدمه، وهي التي تتحمل جزاء العمل من الخطأ والصواب، وهي التي تتحرف وتستقيم.

فالنفس بحسب عملها في طريق الصلاح لها ثلاثة مراتب:

الأول: النفس السوية والمتزنة والمؤهلة لسلوك سلم الكمال وارتقاء درجاته، وهي التي تتعامل مع الدوافع الفطرية المتعلقة بالبدن والمسماة بالغرائز، وعليها ضبط هذه الغرائز، وهي التي تتعامل مع الدوافع اللاشعورية والمسماة بالانفعالات، كرد فعلٍ من خوف وغضب وعاطفة وحزن ونحو ذلك، وعليها أيضاً ضبط هذه الانفعالات، وهي التي تتعامل مع الدوافع الاجتماعية المكتسبة من العادات والتقاليد، فعلياً أخذ الأحسن وترك الأسوأ.

الثانية: النفس الخيرة، وهي أعلى من النفس المتزنة، وهي التي تتعامل مع الدوافع الفطرية والمسماة بالتطلعات الناشئة من تعلق النفس

بعالمها، ومن أهم التطلعات التعلق بقيم الكمال والجمال والخير، وينشأ من هذه التطلعات التعلق بالله جلّ وعلا اعتقاداً، والتعلق به عبادةً وتخشعاً، والتعلق به استعانة ولياداً، وعلى النفس تفعيل هذه التطلعات وتنمية استعداداتها الكامنة في مكانها.

الثالثة: النفس المتسامية، وهي أعلى درجة من المتزنة والخيرة، وهي النفس التي لا ترضى بالوقوف على حدٍ من حدود الكمال، وهي التي تتفانى في بذل طاقتها نحو الكمال.

وأما العقل فله قيادة التنوير والهداية، فيقدّم الدليل والبرهان والمنطق والحكمة والنصح والإرشاد، بل لا تلتزم النفس بما يقدمه العقل إلا طائفة مختارة.

وعليه لا بدّ من التمييز بين ما هو عقلي وبين ما هو نفسي، لأن العلاقة قائمة بين النفس والبدن، وليس بين العقل والبدن.

نعم العقل من أعمال النفس وقواها، ولذا كان من جملة الحولس الباطنة للإنسان.

وعلى ما تقدم فالنفس حاضرة بالعيان عند ذاتها فلا تحتاج إلى برهان، بل هي تعلم ذاتها علماً حضورياً، فهي عالمة ومعلومة، وهي الشيء الوحيد الذي اتحد به العالم والمعلوم في عالم الإمكان، وعليه فالمقولة (أنا أفكر إذاً أنا موجود) التي قالها بعض فلاسفة الغرب وشاعت بين أهل الفكر والثقافة ليست في محلها من وجهين:

أولاً: ليس التفكير دليلاً على وجود الإنسان، بل الوجود الإنساني يتحقق بالنفس، والنفس حاضرة بذاتها عند ذاتها فلا تحتاج إلى دليل، إذ مع العيان لا برهان.

ثانياً: فرض التفكير أمراً مسلماً مما لا يصح، لأنه يحتاج إلى دليل على إثباته، نعم لما كان التفكير قضية حاضرة عند النفس فكان هذا الحضور هو الدليل على وجود التفكير، كما كانت النفس حاضرة، عند ذاتها وهذا ما أغناها عن الدليل على إثباتها، وهذا ما يستدعي الانطلاق دائماً من النفس لا من التفكير.

فالانطلاق من التفكير لإثبات الوجود والموجود ثم النظر إلى أحوالهما هو الذي شكّل موضوع علم الفلسفة الاصطلاحية القائمة عند الإنسان منذ القديم فهو لو فرض صحته وإن قدّم رؤية فلسفية لفهم الوجود إلا أنه ليس في محله، لأنه يبقى رأياً محفوظاً في عالم الذهن لا تتفاعل معه النفس.

بخلاف الانطلاق من النفس، ولا يصح الانطلاق منها لإثبات وجودها لأنها موجودة بالعيان، بل الإنطلاق للنظر في إيجادها من قبل خالقها وللنظر في قواها ودورها وغايتها، وهذا لا يتحقّق إلا بالنظر إليها بالنسبة للعالم التكويني، وهذا يقدم رؤية فلسفية لفهم الوجود، ويشكّل موضوع علم الفلسفة، إلا أنه لا يبقى رأياً محفوظاً في الذهن، بل هذا الرأي يدفع النفس لأداء دورها بواسطة قواها ومستعينة بما سُخّر لها من العالم التكويني حتى تصل إلى غاية خَلَقها، وهذا فارق أساسي بين الرؤية الوجودية الآتية من الدين الإسلامي وبين الرؤية الوجودية الآتية من الفلسفة الاصطلاحية، وعليه فيجب تصحيح موضوع علم هذه الفلسفة.



## معنى الاستخلاف ووظائفه

استخلاف الله جل وعلا للإنسان في الأرض إعلاءً وإعزازاً، إعلاءً لما فيه من استحواذ وبلوغ تحقيق ما هو خير وما هو حق. وإعزازاً لما فيه من بلوغ غاية كريمة بسعى إليها الإنسان القويم، ويسمو بطلبها وبلوغ آفاقها.

ولا يحمل الاستخلاف شيئاً من المذلة والاستغلال، لأن الدور الاستخلافية علاقة من الله جلّ وعلا على تكريم الإنسان بإسناد الدور له، ولأنه علاقة من الإنسان مبنية على المحبة والشوق والتطلع النفسي والاعتزاز والكرامة والقوة.

أما وظائف الاستخلاف فهي: أن يكون عابداً لربه، حكيماً في نفسه، مخلوقاً مع بني نوعه، متعاوناً مع بني جنسه في إقامة المجتمع الإنساني، ومتعاوناً معهم في إعمار الدنيا.

إلا أنّ البشرية ركّزت منذ القديم على وظيفتي إقامة المجتمع وإعمار الدنيا متجاهلة بقيّة الوظائف، وكُتِبَ الحكمة والأخلاق في التراث الإسلامي ركّزت على فلسفة العبادة وعلى تعداد شُرُوب الأخلاق المبنية على فضيلة الوسط بين رذيلتي الإفراط والتفريط بحيث



تنتج الحكمة من اعتدال القوى الشهوية والغضبية والعقلية، مع عدم الالتفات إلى السير الإنساني والاجتماعي والإيماري، مع أن هاتين الوظيفتين أمران مهمان، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (١).

إلا أن إقامة هاتين الوظيفتين من دون تحقيق عبودية الإنسان يجعلهما أداة للظلم وللاستغلال.

بل كل وظائف الدور الاستخلافي لا يمكن إنجازها على الوجه الصحيح إلا على قاعدة تحقيق العبودية لله جلّ وعلا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنسَ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢).

والعبودية تتقوم بأمرين في الشخصية الإنسانية المتزنة والخيرة، وهما: الإيمان بالله جلّ وعلا، والتقوى.

فالإيمان بالله الواحد الأحد هو ركيزة العقل، لإدراك أنه جزء من الكون المعتمد على إرادة الخالق الحكيم المدبر.

وهو ركيزة النفس للاعتماد على ربها في كل شؤونها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٣).

والتقوى هي الإستشعار الدائم لحضور الله في القلب، وهي

(١) سورة هود، الآية: ٦١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

حالة شعورية فعلية تستولي على النفس، وكلما اكتمل هذا الشعور استتار باطن الإنسان فأمسك بقوة النفس، ومع الإمساك يستطيع أن يستخرها ويستخر ما هو تحت سلطانها لتحقيق غاية وجوده.

والتقوى هي الضابط الوحيد لمراقبة النفس لما تريد القدوم عليه من أعمال، والضابط الوحيد لمحاسبة النفس على ما فعلته من أعمال. وتحقيق العبودية يستدعي العلم بها وبموجبها، وهو العلم الوحيد الذي مدحه الله جلّ وعلا في كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup>، ووجه المدح ناشيء من تعليق حكم الخشية على وصف العالمين بعبوديتهم.

وهذا المعنى العبودي يُصيغ نفس الإنسان من خضوع جسدي وخشوع قلبي ودوافع خالصة من الرياء وغايات هي سبل التقرب إلى الله جلّ وعلا.

ويدون العبودية تكون العبادة مراسماً وطقوساً، وتكون الحكمة آراءً فرديةً لا قواعد تأسيسية، وتكون الأخلاق نفعية ذاتية لا إنسانية مبنية على التضحية والإيثار، ويكون التعاون في إقامة المجتمع تبجحاً بالدور وتعالياً في الطبقة، ويكون التعاون في إعمار الدنيا استغلالاً واستعباداً. والعبودية تحتاج إلى أمرٍ ثالث زائد على الأمرين السابقين في الشخصية الإنسانية المتسامية، وهو الاستزادة من العمل الصالح.

والعمل الصالح مطلوب، وكذا الاستزادة منه، لأن الكمال مراتب ولا يُكتفى للنفس بالترقي إلى مرتبةٍ دون الترقّي في سلّم الكمال.

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

## إنجاز الدور الاستخلافي

الكون من سعة وجوده وتناسق أجزائه ومن نظم حركة ما فيه  
ومن ثمرات عطائه فهو في خدمة الإنسان.

وكذا وظائف العقل الإدراكية والحكمية والرشدية، ولذا قال  
أمير المؤمنين عليه السلام: (إن العقل لإقامة رسم العبودية لا لإدراك  
الربوبية) مستدرک نهج البلاغة، باب المختار من حكمه، الشيخ هادي  
كاشف الغطاء.

بل الوحي نزل لخدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ  
الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>، والتبيان لكل شيء بما فيه هدايته في  
سيره السلوكي، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ  
أَقْوَمُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وعليه فلا يمكن إنجاز الدور الاستخلافي ما لم يتم التكامل بين

(١) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢.

الوحي والعقل، وما لم يتم التفاعل بين الإنسان والكون، لأن الإنسان هو وسيلة الاستخلاف وأداته، وهو محل الاستخلاف وهدفه، فلا محالة يكون الدور الاستخلافي عرضةً لمجازفات وتجارب ومخاطر وعوارض وأهواء تُعتبر من أخطاء الإنسان، بسبب علمه وعمره المحدودين ويسبب معارفه النسبية وميوله المتنوعة وغرائزه المتدافعة، إضافة إلى عجزه عن إدراك الحقائق الغيبية عن النشأة والمصير.

لذلك تشتد الحاجة إلى الموجه للطاقت والمرشد للمسالك من مصدر خارج عن نفس الإنسان، هذا الموجه يمتلك الحق المطلق الذي لا يحده زمان ولا مكان، مع اشتداد حاجة الإنسان إلى الإيمان الذي يوجهه ويحقق له الأمن النفسي والاجتماعي، ويزكي غرائزه، ولا يتجاهل الحاجة من دوافعه الأصلية، وهو الذي يعطي الهدي المقصدي للإنسان، وهذا لا يتم إلا بعبء الوحي، فلا بدّ من التفاعل بين عطاء الوحي وتطلعات العقل وأشواق النفس.

غير أن العقل له حرية التفكير ولا سلطة فوق سلطته فلم يجبره المولى تكويناً ولا تشريعاً بأن يتكامل مع عطاء الوحي إلا بعد اقتناعه، ولا يقتنع العقل بالتكامل ما لم يتم له حرية البحث وإطلاق عنان التفكير حتى يُسقط كلّ ما لا يوافق العطاء الديني، فلا مجال للاستبداد باسم العقل تجاهلاً لغايات الوحي ومقاصده وتوجيهاته وأحكامه، كما لا مجال للاستبداد باسم الذين تعطيلاً للعقل ولدوره وإهمالاً لنتائجه، فلا بدّ من التكامل بين العقل والوحي. وأيضاً للعقل قدرة على سبر آيات عالم الشهادة من سنن وقوى، وفهم شؤون الحياة، ومعرفة أحوال الكائنات، مع قدرته على تسخير هذه المعارف

وتنظيمها ورعايتها وإصلاح شأنها وجعلها مستثمرة في خدمة الإنسان في وظيفتي إقامة المجتمع وإعمار الدنيا، وبه يتم التفاعل بين الله والإنسان والكون، فالله هو الخالق والإنسان هو المستخلف والكون هو المسخر.

وبعد هذا وذاك يتم التكامل بين الإيمان والعمل، ويتم فهم عالمي الغيب والشهادة وأن الإنسان له طريق واحدة، أولها الدنيا وآخرها المعاد.

وعليه فما أدعي من صراع بين العقل والوحي، أو العقل والنقل، أو العقل والسمع، أو العقل والنص، أو الحكمة والشريعة ليس في محله.

لأنه يُراد من الوحي حقائقه ومفاهيمه وأحكامه وآدابه التي نزلت من الله جل وعلا في الكتاب وعلى لسان نبيه الأعظم ﷺ، ويراد من العقل العقل المتقرر بوظائفه الإدراكية والحكمية والرشدية، والمستند على البرهان المثبت للحقائق ثبوت اليقين.

والعقل والوحي بما قُدر متكاملان مع الكون عبر الحواس والقطرة مع إعطاء العقل دوره كما للوحي دوره، فضلاً عن كون العقل سندا لإثبات الوحي وأداة لفهمه.

لكن كلما تعرضت المعرفة الإسلامية لتحديد فكري خارجي وقع إشكال في تقديم العقل على الوحي أو الوحي على العقل أو التوازن بينهما، ولذا عندما تُرجمت الفلسفة اليونانية أصبح هذا الإشكال من القضايا الكبرى، وأرخی بظلاله على الكثير من العلوم كعلم الكلام

وعلم التفسير وعلم أصول الفقه وعلم الفقه، وهي علوم مهمة أساسية في المعرفة الإسلامية.

THE PRINCE GHAZI TRUST  
FOR QURĀNIC THOUGHT

والإشكال كان من شقين، الأول: هل إدراك الحق من مختصات العقل أو مختصات الوحي، الثاني: هل العقل هو الذي له قيادة الإنسان والوحي مساعد، أو العكس.

كُتب الكثير في رفع هذا الإشكال، ومن أبرز مَنْ كتب ابنُ رشد في كتابه (فصل المقال بين الحكمة والشريعة من الاتصال).

وهذا الإشكال عندما وقع بقدم الفلسفة اليونانية كانت المعرفة الإسلامية قوية وسائدة فلم تستطع الفلسفة اليونانية من الإخلال بميزان ثنائية المعرفة من العقل والوحي، وإن تخبَّط الكثير في التوازن بينهما، بعدما أمَدَّوا العقل بقضايا الفلسفة اليونانية، مع أن الفلسفة اليونانية نشأت من عقلية وثنية مشحونة بالأساطير، وقائمة على الثنائيات المتصارعة والمتحاربة، فقد ترك الإغريق أسطورة وثنية حول قضية المعرفة، خلاصتها: أن كبير الآلهة (زيوس) غضب على إله (برميشوس)، لأنه سرق النار المقدسة (سر المعرفة) وأعطاه للإنسان من وراء ظهر كبير الآلهة، وكبير الآلهة لا يريد إعطائها للإنسان لثلا يرتفع مقامه فيهبط مقام كبير الآلهة ويهبط مقام بقية الآلهة، ومن ثمَّ أسلمه إلى أفطع انتقام وحشي رهيب.

ومع ذلك فقد أخذوا من افلاطون نظرتَه الوجودية، وأن الوجود طبقتان، طبقة العقل المطلق، وطبقة المادة أو (الهيولي)، والقدرة كلها من العقل المطلق، والعجز كله من (الهيولي)، وبين ذلك كائنات على درجات، تعلق بمقدار ما تأخذ من العقل، وتهبط بقدر ما تأخذ

من الهبولى، ومن هنا نشأت فكرة العقول العشرة، وعليه فالهبولى مقارعةً دائماً للعقل المجرد، ولم يلتفوا إلى أنهما موجدان بمشيئة الهية على تفاعل وتكامل.

وسموا (أرسطو) بالمعلم الأول، والقرآن ينادي بأن المعلم الأول هو الله جل وعلا على يد أنبيائه، ثم أين مقام النبي الأعظم ﷺ، فهل هو المعلم الثالث بعد المعلم الثاني الفارابي؟. وفي القرون المتأخرة خصوصاً في عصرنا وقع التحدي للمعرفة الإسلامية من الحضارة الغربية المبنية على تقديس المادة وتعظيم الشهوات وتحطيم كل ما له الدخيل في الفكر الديني الكنسي، ووقع الاختلال في ثنائية المعرفة من العقل والوحي، حتى ذهب بعضهم إلى توهين الوحي وتحقيره، وإلى إعلاء قيمة العقل وأنه الوحيد في المعرفة والقيادة، وهذا الغرور الذي أصاب بعض المسلمين قد سبقه إليه (نيتشه) الفيلسوف الذي أعلن موت الإله، وأعلن مولد الإنسان الأعلى (السوبر مان).

وخطورة التحدي الفكري في العصور المتأخرة تشكل خطراً من جهتين،

الأولى: وقع التحدي والمعرفة الإسلامية في ضياع وتشتت بين تعصب لرأي طائفة أو فرد وبين تكفير وتوهين، الثانية: وقع التحدي والروحية الإسلامية في النفوس منهزمة أمام القادم الغربي، لاهتراء الأنظمة السياسية، وعدم وجود تربية سليمة تحفظهم من انفلات الشهوات التي أتى بها القادم الغربي، وعدم نضوج فكري يبين حسنات ثنائية المعرفة من العقل والوحي.

ومن حاول الدفاع عن ثنائية المعرفة من العقل والوحي اكتفى بالتركيز على حشد الآيات والأدلة المؤيدة لهذين المصدرين من الكتاب والسنة، وفاته من غير وعي منه أن القضية لها أبعادها العقائدية، وأبعادها المعرفية، وأبعادها المنهجية، ولذا جاء الكثير من المحاولات مما تغلب عليه البساطة والخفة والتعجيل والانبثاق.

رَفَعُ التحدي اليوم يتم بالتحليل العميق للبعد العقائدي، وللبعد المعرفي، وللبعد المنهجي.

يبدأ من تصور عقائدي شامل يتعلّق بمنظومة كاملة تبدأ من الوجود الإلهي، وتمرّ بالوجود الكوني، وتنتهي بالوجود الإنساني، حتى تتضح العلاقة بين الله جل وعلا وبين الإنسان فيما أرشده به من وحي، وفيما زوّده من عقل، ليتحمل العقل هذا الوحي ويفهمه، ويستكشف أسرار الكون وسننه، ثم بالعلم الحاصل من هذين يقود العقل الإنسان نحو خالقه قيادة تنوير وهداية، وتسيطر النفس على قواها وتسخرها وتسخر ما تحت يدها في الدور الاستخلافي لتحقيق العبودية لله جل وعلا وإن كان الإنسان سيداً على بقية الكائنات.





# الفصل الرابع

## موانع المعرفة

- ١ الموانع النفسية
- ٢ الموانع الخارجية
- ٣ إزالة الموانع الخارجية
- ٤ معالجة الموانع النفسية



## الموانع النفسية

كما لا يُعقل أن يُسلب الله الإنسان القدرة على التفكير بعدما أعطاه العقل فكذلك يمتنع على العبد أن يعطل عقله مرضاةً لمخلوقٍ مطلقاً خوفاً منه أو اتباعاً لشهوة نفسه وغريزتها.

الموانع المعروفة على قسمين: نفسية وغير نفسية، أي: خارج عالم النفس.

من الموانع الضهي كثيرٌ وأهمها ثلاثة:

الأول: اتباع الهوى، وهو اتباع الشهوات والغرائز من دون ضابطه، وهذا يعني أن المانع من الدوافع الفطرية الغريزية، قال تعالى: ﴿فَرِحْتُمْ مَن قَتَلْتُمْ لَهُمْ دُونَ اللَّهِ وَأَنَّهُ أَكْبَرُ عَلَيْهِمْ وَكَلِمَتُ اللَّهِ أَعْلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَدِيدًا﴾ (١).

الثاني: التكبر والتجبر، وهذا يعني أن المانع من الدوافع الفطرية النفسية، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٢).

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة غافر، الآية: ٣٥.

الثالث: الإصرار على الذنب، وهذا يعني أن المانع من قبل الإرادة وما يتبعها من العمل، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي الآيات المتقدمة ألفاظ (الختم والطبع والرین)، وهي أقفال على القلب، وقد ورد في القرآن الكريم مادة (القلب) بكل ما أضيف إليها مثل (قلبك، قلبه، قلوبنا، قلوبكم، قلوبهم) بحدود (١٣٠) مرة، ولم يُستعمل لفظ (القلب) في جميعها في (القلب الصنوبري الموجود وسط الصدر)، بل أريد من الجميع النفس.

وصح الاستعمال المجازي لعلاقة بين النفس والبدن، وهي علاقة الحال والمحل، فالقلب الصنوبري هو نافذة النفس على البدن.

وعليه فهذه الأقفال القلبية هي أقفال على النفس، قال تعالى: ﴿أَقْفَالًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

ومع هذه الأقفال فيكون عمى البصيرة، قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْتِكُ الْأَسْمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومع عمى البصيرة فهو لا يفقه ولا يسمع ولا يبصر، بمعنى عدم الوصول إلى معرفة من شأن النفس أن تصل إليها.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُوفًا لَا يَرْؤُونَهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٥.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ مِمَّنْ قَلْبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَأْنَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَطَّيْعٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَطَّيْعٌ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَوَطَّيْعٌ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٥).

ولازم الختم على القلب أمران:

الأول: عدم نفع الموعظة من الوعد أو الوعيد، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦) حَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦).

الثاني: تزيين العمل السيء، قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوهُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِن لَّمْ يُضِلِّهُم مِّنْ بَشَاءِ رَبِّهِمْ لَأَمَّا لَلَّذِينَ كَفَرُوا بِحُجَّتِهِمْ أَن لَّمْ يَأْتِيهِمْ الْبُحُرُومُ بَاطِنَةً إِذَا ظَنُّوا أَنَّهُم مِّنْ آمْنِنًا وَإِن لَّمْ يَكْفُرْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَأَكْبِرُنَّ أَكْبَارًا سِوَا ذَلِكَ فَتَوَلَّوْا أَعْيُنَكُمْ عَٰلَمٌ غَافِلٌ﴾ (٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٩٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٤٦.

(٦) سورة البقرة، الآيات: ٦ - ٧.

(٧) سورة قاطر، الآية: ٨.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْدُهُمْ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٣٧﴾﴾ (١)

ولعدم نفع الموعظة ولتزيين العمل السيء طلب الله جل وعلا من نبيه الأعظم ﷺ عدم جهده لهدايتهم، قال تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدٰهُمُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأُمَمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٥).

ولرفع إشكال عدم هدايتهم فلا بد من التفريق بين الهداية التشريعية والهداية الكمالية، فالهداية على ثلاثة أقسام:

• الهداية التكوينية: وهي أخذ الموجود إلى كماله التكويني عبر السنن الكونية، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوَآءَ الْجَايِزِ وَالْأُنثَىٰ فَذَكَرَ الْفَهْدَىٰ﴾ (٧)، ومفاد الآيتين أمران: الأول: الخلق لكل موجود بحسب ما يحتاج إليه

الثاني: هداية كل موجود باستعمال خلقته للوصول إلى غايته التكوينية.

(١) سورة الكهف، الآيات: ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ٤٣.

(٥) سورة الفضل، الآية: ٥٦.

(٦) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٧) سورة الأعلى، الآيات: ٢ - ٣.

• الهداية التشريعية: وهي إراءة الطريق إلى الكمال الدنيوي والسعادة الأخروية، وهي مختصة بالإنسان بخلاف السابقة فإنها تعم كل موجود. وللهداية التشريعية طريقان:

الأول: الفطرة، قال تعالى: ﴿وَقَسْرٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾ (١).

الثاني: الروحي، وهو المتمثل بالقرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٢﴾﴾، والمتمثل بالنبي الأعظم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾﴾.

وهذه الهداية التشريعية مبنية على اختيار العبد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَمَا هِيَ بِغَيْرِ حَرَجٍ ﴿٤﴾﴾.

• الهداية الكمالية: وهي خاصة بالمؤمن التقي، وهي تسيير نفسي في طريق الكمال الدنيوي وطريق السعادة الأخروية، وهذه الهداية جزائية بسبب الأعمال الصالحة.

وهي في قبال الإضلال، وهو خاص بغير المتقي، وهو تسيير نفسي للابتعاد عن طريقي الكمال والسعادة جزاءً لتكبه عن العبودية، وهو أمر جزائي بسبب الأعمال الطالحة.

ولأن الهداية الكمالية جزائية فهي بيد الله جل وعلا، قال

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧ - ٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٤) سورة فصلت، الآية: ١٧.

تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَلَجَّيْنَاهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِرُءُوسِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ<sup>(٣)</sup>.

وكذلك الإضلال فهو بيد الله جل وعلا، لأنه جزائي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾<sup>(٤)</sup> إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وذكر الإضلال والهداية الكمالية في آياتٍ منها: قوله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾<sup>(٧)</sup>، وقال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلْأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>.

وبالتفريق بين الهداية التشريعية والهداية الكمالية ينحل الإشكال بطلب المولى جلّ وعلا عدم جُهد النبي الأعظم ﷺ في هدايتهم الكمالية، لأنه مطبوعٌ على قلوبهم، وإن أمر بهدايتهم التشريعية، بمعنى إراءة الطريق لإقامة الحجّة عليهم.

وينحل إشكال آخر في قول المصلي في سورة الفاتحة ﴿أَهْدِنَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٨٧ - ٨٨.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٦٨ - ١٦٩.

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) سورة الكهف، الآية: ١٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٧٨.

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ<sup>(١)</sup>، والحل أنه يطلب الهداية الكمالية لا التشريعية  
 بدليل قوله تعالى: ﴿وَجَنَّبْنَاهُمْ لِيَسْوَطَ لِمَسْجِدٍ مَّسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> ذَلِكَ هُدَى  
 اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد أبان الله جل وعلا في قرآته أن موانع الهداية الكمالية  
 هي موجبات الضلال، وهي ثلاثة:

الأول: الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

الثاني: الفسق، وهو مطلق الخروج عن زيِّ العبودية، قال  
 تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٧)</sup>.

الثالث: الظلم، وهو أعم من ظلم النفس وظلم الآخرين، قال  
 تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٩)</sup>.

وهذه الثلاثة كانت موانع الهداية وكانت موجبات الإضلال لأنها

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٨٧ - ٨٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٧٤.

(٥) سورة المنافقون، الآية: ٦.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٦.



تزرع ركائز الشخصية الإنسانية المتزنة، والشخصية الخيرة، والشخصية المتسامية، وركائزها كما تقدم ثلاثة وهي: الإيمان ويزعزع الكفر، والتقوى ويزعزعها الفسق، والعمل الصالح والاستزادة منه ويزعزعها الظلم.

بل كل ما هو من ركائز الشخصية الإنسانية أو يقويها فهو من موجبات الهداية الكمالية، والموجبات ثلاثة:

الأول: الإيمان، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ ﴿١﴾﴾.

الثاني: المجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿٢﴾﴾.

الثالث: الإنابة، بمعنى الرجوع إلى الله بالتوبة بالنسبة للعاصي، وبمعنى الاعتصام به جل و علا بالنسبة للمطيع.

قال تعالى: ﴿وَهَدِيْنَا إِلَىٰ مَن ءَاتَىٰ مِنَّا مِن بَرَكَاتٍ ﴿٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَهَدِيْنَا إِلَىٰ مَن يُنِيبُ ﴿٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَءَعَصَمُوا مِن سَكُوتِهِمْ فَيَرْجِعُهُمْ فِي رَحْمَتِنَا وَقَدْ خَلَقْنَاكَم مِّن قَبْلُ مِن نَّحْوِ إِلَٰهِكُمْ وَمَن يَرْجِعُكُم مِّن قَبْلُ فَمَن يَمُنُّ بِآيَاتِنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ ﴿٥﴾﴾.

(١) سورة الحج، الآية: ٥٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٧٥.

## الموانع الخارجية

موانع المعرفة الخارجة عن عالم النفس ثلاثة:

الأول: عبادة السلف، وهي أقواها، ولذا قيل: عبادة السلف كالجيلي للخلف قلما عنها يتخلف.

وهي أول الموانع التي واجهت الدعوة النبوية المحمدية، فلم يغضبوا منه لأن سقته أحلامهم واستخف بعقولهم، بل كانوا غاضبين لأنه يسقته أحلام آبائهم ويستخف بعقول أسلافهم، وهم أصول نسبهم التي يفخرون بها.

فالعقيدة الدينية تملك الإنسان في جميع أوقاته وعلاقاته، وإذا ترعرع عليها وشبّ تصير جزءاً من تفكيره ومناحيه، وجزءاً من النفس وتطلعاتها.

وعليه فإذا كانت العقيدة الدينية متلقاةً من الآباء والأجداد الذين هم أصله ومصدر فخره، وهو لا يرضى بإهانتهم بل يرى وجوب توقيهم، فتكون لعبادة السلف من المهابة النفسية مع المحبة والرعاية لجانب أصوله النسبية ما يمنع على الإنسان أن يفكر في غيرها.

والآيات الواردة في ذم تقليد السلف في العقيدة الدينية كثيرة منها: قول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١).

وقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَسَاءَلُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

والقرآن عندما نهى عن الإذعان لهذا المانع إنما أعطى العقل الدليل والحجة في المقاومة، ولم يكتفِ بفرض واجب المقاومة عليه، لأن التقليد أمرٌ محمود، وهو رجوع الجاهل إلى العالم في مجال العلوم والصناعات والفنون، ولكنه أمرٌ مذموم في رجوع الجاهل إلى مثله في مجال العقائد.

الثاني: الإقتداء الأعمى بأصحاب السلطة الدينية من الكهنة والأحبار، فهؤلاء قد فسدوا بالاستكبار، وبالإقبال على الدنيا، وبتصيد الناس بالجاه والخيلاء، وبأكل أموالهم بالباطل، وبالصد عن سبيل الله، ومع فسادهم لا بد أن تسقط سلطتهم على الضمائر وعلى العقول، لأنها سلطة غواية واعوجاج.

ولذا أسقط الإسلام سلطة الكهنة والأحبار، ونفى عنهم القدرة على التحريم والتحليل، وعلى الإدانة والغفران، بل نبه إلى سيئاتهم وعاقبة الذين يستسلمون لخديعتهم، فقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣١.

مَأْمُونًا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ  
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا  
فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَبِيْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾.

الثالث: الحكم المستبد، وهو أخفها، لأنه يتسلط على النفس  
من خارجها، ولا يستهويها من باطنها، كما يستهويها حُب السلف،  
أو يستهويها الاسترسال مع القدوة الخادعة من قبل الكهنة والأجبار.

فالإنسان إما أن يرفضه ما دام في مكان واحد، أو يلوذ منه  
بمكان أمين، قال تعالى: ﴿قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُتَضَاعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا  
أَلَمْ نَكُنْ أَرْضًا لِّلَّهِ وَرِعْمَةً فَنَحْنُ فِيهَا﴾ ﴿٢﴾.

بل غالباً ما يكون خطر المستبد حافزاً للنفس على المقاومة،  
ومحرزاً للعقل على الرفض والإنكار.

ولكن يُخشى أن يؤدي الرفض العقلي إلى تشبث العناد، لأن  
التشبث خطرٌ على التفكير كخطر الاستهواء للقدرة الخائنة، وكخطر  
التسليم للسلف في عباداتهم المضلّة.

وعلى كلٍ فالحكم المستبد قهراً للنفس بغير إرادتها، فلذا تكون  
الإرادة طليقةً للمقاومة أو للحيلة أو للخضوع، بخلاف المانعين  
السابقين، فيوجبان الانقياد للضلال، إما إيثاراً له كعبادة السلف، أو  
محبةً للمضلين لأنهم قدوة، كال تقليد الأعمى للأجبار والرهبان.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة الباء، الآية: ٩٧.

## إزالة الموانع الخارجية

حقّ العقل على الإنسان أن يُزيل هذه الموانع ولو بالمشقة، لأنه لا بدّ من حقّ تهون من أجله المشقة، لأنها أهون من سلب الإنسان فضيلته العليا، وهي الرجوع إلى العقل، والإنسان لا يؤثر الحطة عن هذه الفضيلة.

وإذا كان الإنسان قادراً على الاهتداء بعقله، فالعقل يهديه إلى الخشية من الضرر على الأجسام، أفلا يهديه إلى الخشية من الضرر على العقول والضمائر، وإلى الخشية من النزول عن الحياة العقلية إلى حياة لا شرف فيها ولا مروءة.

والقرآن كما أمرَ العقلُ بالاستقلال - استقلال النظر - أمره أيضاً في توقيف الآباء، ولكن البرّ غير الضلال على غير بصيرة. وأمره بالرجوع إلى أهل الذكر ﴿فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وهم أهل الاستقامة في سيرتهم، وأهل الرشد في هدايتهم، لا أهل الغواية والاعوجاج.

(١) سورة التحل، الآية: ٤٣.

وَأْمَرَ بِتَمْحِيزِ الطَّاعَةِ لِأَوْلِي الْأَمْرِ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

نعم لا خير في فتنة يضرها العصيان على غير بصيرة، فمن لم تكن له قدرة على المخالفة، ولم يكن لعصيانه مآل إلى الفتنة الطامة فله أن يهاجر، ففي الهجرة متسع له.

فالقُرآنُ الأمرُ بإزالة هذه الموانع لم يكلف الإنسان الشطط في إزالتها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وكما لا يؤمره بغير ما يطيق فلا يحاسبه إلا على ما يستطيع، ومع ذلك تبقى تبعاً للأمة كلها، ولا ينفرد كل فرد بمصيره، إذ لا بد من الوحدة في حساب الأمم، لأنه لا خير للفرد في عيشة يقف خيره وشره بحدِّ بابِه ولا يتشارك مع شركائه في مجتمعه وأمته.

نعم للأمة وزر باعتبار مجموعها، إلا أنها لا تُحاسب الأمم إلا على سنة الأمم في أطوار الاجتماع.



(١) سورة النِّسَاء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة البَقَرَة، الآية: ٢٨٦.

## معالجة الموانع النفسية

بعدما تقلّم أن العقل له قيادة التنوير، وأن النفس لها قيادة السيطرة والإحكام، إلا أن لكلٍ منها تأثيراً على الآخر.

فعند ثبوت الحقيقة المدركة عقلياً بالبرهان القاطع تتعاطى النفس مع هذه الحقيقة عبر قواها.

وكذا النفس فعند غلبة شعورٍ عليها فعلياً يبرمج العقل معلوماته في تحقيق أمنية النفس من هذا الشعور، ولذا تكون دورة التفكير العقلي عند حب الانتقام غير دورة التفكير عند حب التسامح والغفران، وهذا ما يدل على تأثير كلٍ منهما على الآخر إلا أنه ليس في كل المجالات.

فالعقل المدرك - الذي يدرك الحقائق من دون الاستعانة بقوى النفس - يتفرد بالعلم مهما كان سلوك النفس وانفعالاتها وعاداتها، ويكون العقل وما ينتجه من العلم حجة للنفس وعليها. وأما العقل الحكمي الذي يصل إلى استنباط أسرار الحقائق، وكذا العقل الرشيد الذي يقرر الوظائف تجاه جميع الموجودات، وكذا العقل الباعثي والرادعي الذي ينهض بالإرادة من الميل إلى العزم الأكيد المستتبع

لتحريك قوى الإنسان، فالنفس بسلوكلها وانفعالاتها وعاداتها تؤثر على العقل في هذه المجالات، ومن هذا التأثير تنشأ الموانع النفسية للمعرفة. ولتفاديها لا بدّ من إعمال العقلية الفكرية - التي تقدّم الكلام عن مصادرها - على قاعدة العبودية لله جلّ وعلا لتحقيق غاية خلق الإنسان بإنجاز الدور الاستخلافي.

وعليه فمعلومات هذه العقلية موثوقة المصدر من العقل والوحي، وموثوقة الدليل إذا الدليل هو البرهان القاطع، وغايتها التي هي إنجاز الدور الاستخلافي مطابقة للتكوين الإنساني والكوني، وبهذا تنجو النفس من حباتلها وإغوائها وضعفها ومن التأثير الخارجي عليها، وحيثذ فلا تؤثر على العقل إلا بما تمليه الفطرة والحاجات الضرورية الفردية والاجتماعية.





## الخلاصة

بعدما كانت معاجز الأديان السابقة قاهرةً للعقل ومخالفةً للسنن الكونية فأتى الإسلام بمعجزة تخاطب العقل وتقنعه وتعتمد عليه، وتوسع دائرة التفكير من الدور الإدراكي والحكمي إلى أعلى مراتب الرشد.

وأتى الإسلام بمعجزة موافقة للسنن، وتدعو إلى فهم السنن وإدراكها واستخدامها في دوره وغاية خلقه.

وشكّل الإسلام العقلية الفكرية المتقوّمة بالعقل والوحي لتفهم دوره الاستخلافي وتعمل على إنجاز هذا الدور، مع تنصيب الإسلام على موانع المعرفة، سواء كانت خارجية أم نفسية.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حُرر يوم الجمعة الواقع فيه

١١ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ

١٥ نيسان ٢٠١١م

بيروت - محمد حسن ترحيني



## الفهرس

### الفصل الأول

#### الخطاب القرآني للعقل

- ٩ - القرآن معجزة عقلية ..... ٩
- ٩ - المعاجز التي تكلم عنها القرآن على أنواع ..... ٩
- ١٣ - العقل ودوره ..... ١٣
- ٣ - خطاب القرآن للعقل ..... ١٥
- ومن خطاب القرآن للعقل الحكيم قوله تعالى ..... ١٦
- ومن خطاب القرآن للعقل الرشيد قوله تعالى ..... ١٦
- ومن خطاب القرآن للعقل الرادع والباعث الذي تنتج منه  
عصمة النفس بإعمال حُسن الإختيار قوله تعالى ..... ١٧
- ٤ - المعجز القرآني على وفق السنن ..... ١٩
- ٥ - فهم السنن الكونية هو عالم المعاجز ..... ٢١
- ٦ - لوازم الخطاب القرآني للعقل ..... ٢٥

### الفصل الثاني

#### تكوين العقلية الفكرية

- ١ - مصادر العقلية الفكرية ..... ٣٧
- ٣٧ - العقلية الفكرية تستمد معارفها من أربعة مصادر ..... ٣٧

- ٢ - دور الحواس في تحصيل المعرفة ..... ٤١  
 ٣ - دور القلب في تحصيل المعرفة ..... ٤٣  
 ٤ - دور الوحي في تحصيل المعرفة ..... ٤٥  
 ٥ - دور العقل في تحصيل المعرفة في عالم الشهادة ..... ٤٧  
 ٦ - دور العقل في إدراك عالم الغيب ..... ٥١  
 ٧ - أهمية العقل والوحي ..... ٥٥

### الفصل الثالث

#### غاية التفكير

- ١ - الإنسان هو المحور الغائي للكون ..... ٥٩  
 ٢ - التعاريف المتداولة للإنسان ..... ٦٥  
 ٣ - الإنسان بنظرة إسلامية ..... ٧١  
 ٤ - حقيقة الإنسان ليست عقلية بل نفسية لها القدرة العقلية . ٧٥  
 ٥ - معنى الاستخلاف ووظائفه ..... ٧٩  
 ٦ - إنجاز الدور الاستخلافي ..... ٨٣

### الفصل الرابع

#### موانع المعرفة

- ١ - الموانع النفسية ..... ٩١  
 ٢ - الموانع الخارجية ..... ٩٩  
 ٣ - إزالة الموانع الخارجية ..... ١٠٣  
 ٤ - معالجة الموانع النفسية ..... ١٠٥